شذرات خمينية

ترجمة وإعداد ونشر
دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة الأولى
١٤٣٠هـ.ق ٢٠٠٩م

هوية الكتاب

اسم الكتاب..... شذرات خمينية

ترجمة ونشر:.....دار الولاية للثقافة والإعلام

الطبعة:.....الأولى ١٤٣٠هـ

جميع الحقوق محفوظة

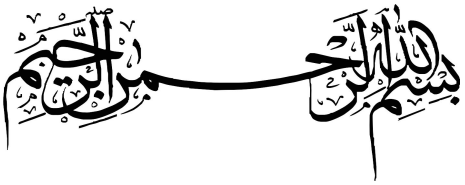

الإمام الخميني شخصية لا نظير لها

حوار مع مؤرخ الثورة الإسلامية سماحة حجة الإسلام الدكتور السيد حميد روحاني[1]

ـ نقدم شكرنا الجزيل لسماحتكم لقبولكم دعوتنا، المجلة تسعى لبحث المسائل المتعلقة بالثورة الإسلامية من خلال إجراء الحوارات مع بعض الفضلاء والكتّاب الذين أسهموا في توثيق أحداث الثورة الإسلامية.

مما دفعنا للقاء سماحتكم وإجراء هذا الحوار للوقوف على بعض المسائل المتعلقة بالثورة وقائدها الإمام الراحل قدس سره.

❖ وأنا أيضاً أشكركم على ما تبذلوه من جهد وسعي في هذا المجال وأتمنى لكم التوفيق في أداء هذه الرسالة المقدسة.

ـ نفتح باب هذا الحوار بالسؤال عن نقطة بداية الثورة الإسلامية؛ فأنتم تعلمون أن البعض جعل بعض الحركات والنهضات كبداية للثورة

---

(١) مجلة المعارف الشهرية.

الإسلامية، كالحركة الدستورية[١] أو الثورة الوطنية أو الأحداث التي جرت في أوائل الأربعينيات، خاصة أحداث (١٥ خرداد سنة ١٣٤٢هـ.ش)[٢] وأحداث الخمسينيات أيضاً[٣].

فالبعض يربط أحياناً بين هذه الأحداث وبداية الثورة الإسلامية حسب الأهداف والأفكار الخاصة التي يؤمن بها. فما هو رأي سماحتكم حول بداية الثورة الإسلامية؟

❖ إذا ما أردنا أن نقف بشكل صحيح على الجذور الأساسية للثورة الإسلامية، ينبغي علينا معرفة وتحديد الحركات الثورية التي حدثت في تاريخ إيران المعاصر وما هي أوجه تشابهها مع الثورة الإسلامية، أو نحدد أوجه الاختلاف بين ثورتنا الإسلامية والثورات الأخرى. أي لمعرفة جذور الثورة الإسلامية، ينبغي علينا أولاً معرفة الخصائص التي تميز هذه الثورة، ثم نعمد إلى تحليل أوجه التشابه والاختلاف بينها وبين الحركات الثورية الأخرى.

---

(١) حركة شعبية قادها بعض العلماء، قاموا في قبال الحكومة الظالمة في عهد القاجار (الحكومة الملكية)، وطالبوا بتحكيم الإسلام وجعله أساساً لقانون الدولة، وإثر ذلك تم عقد أول جلسة لمجلس الشورى الوطني وتمت المصادقة على هذه الاقتراحات ضمن ٥٠ مادة، وقد أطلق على ذلك بالحركة الدستورية أو المشروطة.

(٢) ١٥خرداد: في سنة ١٣٤٢هـ.ش، ١٣٨٣هـ ق، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام قدس سره وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين.

(٣) أي ما بين سنة ١٣٥٠ هـ.ش، وحتى انتصار الثورة الإسلامية سنة ١٣٥٧.

حسب ما توصلت إليه من بحث وتدقيق في الموضوع، أعتقد أن نهضة الإمام والثورة الإسلامية لا تتطابق مع أي من النهضات التي حدثت في إيران في العقود الماضية، فمثلاً نهضة التنباك[1] (التبغ)

---

(١) حدثت ثورة التنباك عام ١٨٩١. ففي ٢٠ آذار ١٨٩٠ منح ناصر الدين شاه إمتيازاً لاحتكار التبغ وبيعه في إيران لمدة خمسين عاماً لشركة إنجليزية تدعى ريجي (Regi Tobacco) لصاحبها (ميجر تالبوت). وكانت الاتفاقية مجحفة بالنسبة للشعب الإيراني، حيث تضمنت بنوداً وقرارات ضارة بالمزارعين والتجار وعامة الناس. وإن الإمتياز يهيمن على كل عمليات زراعة وصناعة ونقل وتوزيع وبيع وشراء التبغ في إيران. ولم يسكت أبناء الشعب أمام الأضرار الفادحة التي يتكبدونها يومياً، فكثرت الشكاوى والتذمر ضد السلطة، واعترض علماء الدين في إيران، لكن الشاه كان مصراً على موقفه في منحه الإمتياز للإنجليز. تبنى الميرزا الشيرازي موقف الشعب الإيراني، «فأرسل رسالة إلى ناصر الدين شاه يطلب منه إلغاء الإمتياز، فاعتذر الشاه عن إلغاء الاتفاقية محتجاً بعدم قدرته، وما يترتب على ذلك من مخاطر. وحذره الشيرازي برسالة ثانية، لكن الشاه ظل على موقفه».بعد أن يئس الميرزا الشيرازي من تغيير موقف الشاه تجاه الإمتياز، قرر أن يسلك سبيلاً آخر، السياسة السلبية أو اللاعنف، فقرر أن يمنع الناس عن شراء واستخدام التبغ، فأصدر فتواه الشهيرة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، اليوم استعمال التنباك والتتن حرام بأي نحو كان. ومن استعمله كان كمن حارب الإمام عليه السلام. محمد تقي الحائري الشيرازي».

أحدثت الفتوى صدىً هائلاً في أوساط الشعب الإيراني، فاستجابت لها كل الطبقات الاجتماعية، فأصبح الامتناع عن التدخين عملاً وطنياً وممارسة ثورية وطاعة دينية واستجابة لأمر قائدها، بل سرى الالتزام بالفتوى حتى داخل قصر الشاه، فاضطر في النهاية إلى إلغاء الاتفاقية بعد دفع نصف مليون باوند تعويضاً للشركة.

كانت نهضة ضد الاستعمار، لكن هل يمكن اعتبارها أساساً لقيام نهضة الإمام الخميني ﷺ؟

إنّ أوجه التشابه بين هاتين النهضتين تكمن في أن نهضة التنباك كانت نهضة إسلامية انتصرت بقيادة أحد مراجع التقليد وفقيه جامع للشرائط، وهكذا الحال بالنسبة لنهضة الإمام. الوجه الآخر، أن نهضة التنباك كانت ضد الاستعمار ولقطع أيدي المستغلين الأجانب، كذلك نهضة الإمام ﷺ كانت تتضمن هذا الهدف أيضاً. لكن إذا ما دققنا أكثر في الموضوع نجد أن نهضة الإمام كانت تتميز بخصائص لا تتوفر في نهضة التنباك، منها: أنّ نهضة الإمام كانت نهضة ضد الاستعمار وضد الاستبداد أيضاً، في حين كانت نهضة التنباك تواجه الاستعمار فقط.

إن نهضة الإمام كانت تهدف لإسقاط النظام الشاهنشاهي الديكتاتوري، في حين لم تسع نهضة التنباك لتحقيق مثل هذا الهدف أبداً. إن نهضة الإمام كانت تسعى إلى تحقيق هدفها النهائي في إقامة الحكومة الإسلامية، في حين لم يكن ذلك من أهداف نهضة التنباك، ولا من أهداف الحركة الدستورية أيضاً؛ إن الحركة الدستورية ليس أنها لم تكن ضد الاستعمار فحسب بل كان بعض المنحرفين أو المخدوعين يظنون أنهم يستطيعون تحقيق أهدافهم الوطنية والدينية من خلال اللجوء إلى الأجانب واستمداد العون منهم؛ بينما كانت نهضة الإمام تناهض بشدة الاستعمار والاستبداد.

ورغم أن حركة تأميم النفط كانت ضد الاستعمار، لكنها لم تكن تناضل ضد الاستبداد الحاكم؛ بل كانت تخضع له أيضاً! إذ عندما

سنحت الفرصة المناسبة قالوا للدكتور مصدق لماذا لا تسقط الشاه الآن؟ قال لقد أقسمت في مجلس الشورى الوطني على القرآن أن لا أخون الشاه!.

بناءً على هذا فإن الثورة الإسلامية لا تستمد جذورها من الحركة الدستورية أو نهضة التنباك أو حركة تأميم النفط. والأهم من ذلك أن نهضة الإمام لم تكن نهضة مادية، والشعب الذي نهض مع الإمام منذ سنة (١٣٤١ إلى سنة ١٣٥٧هـ.ش) لم يكن يرفع سوى شعار واحد وهو الدفاع عن الإسلام، والإمام أيضاً لم يكن يصرح سوى بجملة واحدة (الإسلام في خطر)، فلم يكن يدعو لشيء آخر لا المسائل المادية ولا عمل ولا مسكن. وإذا ما تصفحتم كتاب صحيفة الإمام للاحظتم أن الإمام ﷺ منذ بداية نهضته وحتى انتصارها لم يعد الشعب أبداً بأي وعود مادية؛ وإنما أبلغ الشعب فقط أن الإسلام في خطر، فانتفض الناس للدفاع عن الإسلام.

وعليه لا يمكن الادعاء أن ثورة الإمام تستمد جذورها من النهضات الماضية خلال المئة سنة؛ بل عندما نطالع في حياة الإمام نجد أنه استلهم أفكاره وأهدافه من أفكار الأنبياء. فالأنبياء كانوا يهتمون بتهذيب النفس قبل بدء رسالتهم، وهذا ما رأيناه في الإمام أيضاً، إذ كان يهتم بتهذيب النفس قبل البدء بنهضته ونضاله والسعي لتحقيق أهدافه الإلهية.

وبالطبع يوجد الكثير من الأشخاص الذين اهتموا بتهذيب النفس إلاّ أنهم استمروا في هذه الحالة فقط إلى آخر العمر ولم

يهتموا بالأمور الأخرى؛ لكن الإمام لم يتوقف عند حد تهذيب النفس وإنما انتقل مباشرةً إلى الشعب واهتم بتهذيب المجتمع وتربيته وهذا من خصائص الأنبياء.

فمنذ أحداث سنة (١٣١٧ و ١٣١٨ هـ.ش) وفي الفترة التي كان النظام الشاهنشاهي نظاماً استخباراتياً، بدأ الإمام بحركته الأخلاقية، فكان يقيم درس الأخلاق في المدرسة الفيضية مرتين في الأسبوع، حيث تخرّج من مدرسته الأخلاقية والعرفانية الكثير من الأفراد البارزين كالشهيد مطهري، والشهيد مدني والشهيد صدوقي.

وأنبياء الله لم يكونوا يفكروا أبداً بالعدد والعدة لتحقيق أهدافهم الإلهية؛ بل كانوا يسعون دائماً لإعلاء كلمة الله سواء وفقوا أو لم يوفقوا في ذلك. وهذه الصفة يمكن ملاحظتها بوضوح في نهضة الإمام، حيث كان سماحته يرى نفسه مكلفاً بهذا العمل وليس بتحقيق النتيجة، حتى أن الإمام عندما بدأ بنهضته كان بعض ما يصطلح عليهم بـ (نيري الفكر) يعتقدون أنه كمن يضرب يده بالجدار لأنه لا يمكن مواجهة نظام استبدادي مجهز بجميع الأسلحة والإمكانات، بأيدي خالية وبإصدار البيانات وإلقاء الخطب الحماسية، فقط، لكن الإمام استمر بنفس نهج الأنبياء في مواجهة الطغاة وتمكن بالقلم والقدم من أداء رسالته الإلهية وإسقاط هذا النظام الديكتاتوري.

فنحن إذا ما أردنا حقاً معرفة جذور نهضة الإمام، ينبغي أن نبحث وندقق في نهضة الأنبياء، فإن سائر الناس وخاصة المستضعفين منهم يمثلون أحد الأركان الأساسية في هذه النهضة، وهو ما نشاهده في

نهضة الإمام الخميني ﷺ، حيث كان الإمام يعتمد على الشعب في نهضته، ويخاطب الشعب ليحفزه على التحرك والقيام، حتى تمكن بواسطته من تحقيق الانتصار، وهذا هو نهج الأنبياء.

إذن، رغم أننا نعترف أن الثورة الإسلامية قد استفادت من تجارب النهضات الأخرى كنهضة التنباك، والحركة الدستورية، وحركة تأميم النفط، وكذلك استقت العبر والدروس من الحركات الدينية والسياسية التي حدثت في إيران خلال العقود الماضية؛ لكن نهج الإمام وسلوكه وعقائده لا تتطابق بشكل كامل مع أي من النهضات الأخرى، كما لا يمكن تقييمها من خلال الأسس التي تستند إليها تلك النهضات. وعليه يمكن الإجابة على سؤالكم؛ وكما أشار إليه الإمام في الرسالة التي بعثها لي بتاريخ (١٣٦٧/١٠/٢٥): إنّ بداية الثورة الإسلامية تعود إلى أحداث سنة (١٣٤١هـ.ش ـ ١٩٦٢م).

ـ سماحة الدكتور روحاني يقيناً هناك عوامل متعددة لعبت دوراً مهماً في انتصار الثورة الإسلامية، وهناك تحليلات مختلفة بهذا الصدد، لكن نود أن نسمع من سماحتكم ما هي برأيكم العوامل الأساسية التي أدت إلى قيام وانتصار الثورة الإسلامية؟

❖ حسب ما توصلت إليه من دراسة وتحليل في هذا الموضوع، وجدت أن انتصار الثورة الإسلامية يعود إلى ثلاثة أركان أساسية:

١ـ القائد.

٢ـ الدين.

٣ـ الشعب.

لكن (القائد) يعد أهم هذه الأركان، إذ لو لم يتمكن الإمام من تقديم الوجه الناصع والمشرف للإسلام وتعريفه للشعب، لما تمكنت الثورة الإسلامية من تحقيق الانتصار. إن الدور الأساس لقائد النهضة الذي أزال الغبار عن وجه الدين وعرّف الإسلام المحمدي الأصيل للمجتمع.

ومن المناسب هنا الإشارة إلى بعض الخصائص التي امتاز بها الإمام الخميني ﵀ حيث استطاع أن يقوم بهكذا ثورة عظيمة.

الخصيصة الأولى: (معرفته الشاملة للإسلام) فالإمام كان يدرك تماماً المعنى الواقعي للإسلام. فإذا ما طالعنا في حياة الكثير من الشخصيات، نجد أحياناً أن بعض علماء الدين كانوا قادة لبعض الحركات الاجتماعية إلاّ أنهم كانوا ينظرون إلى الأمور من جهة واحدة لا كنظرة شاملة. إن العلماء الذين حصروا الإسلام في (العبادة) فقط ولم يهتموا إلاّ بالأمور العبادية وتهذيب النفس والدعاء والتوسل والتضرع إلى الله تعالى، ليسوا بقلة.

في المقابل نجد البعض الآخر يركزون جل تفكيرهم واهتمامهم بالجانب السياسي للإسلام فقط، وهؤلاء رغم أنهم يتزينون بلباس علماء الدين إلاّ أنهم في الواقع مجرد سياسيين لا يهتمون بالجانب المعنوي للإسلام.

أما الإمام ﵀ فقد كان يتعامل مع الإسلام في جميع أبعاده وفي أعلى المستويات، فلو دققت في عبادته لوجدته عابداً زاهداً إلى درجة أنك تعتقد أنه لا يفكر في شيء سوى العبادة والتضرع إلى الله تعالى.

وإذا ما دققت في علميته لوجدته فقيهاً جامعاً للشرائط. وإذا ما جلس على كرسي الدرس تصورت أنه لا يفكر سوى بالفقه والبحث. وأما في البعد السياسي فهو سياسي محنك إذا ما صدح صوته اهتزت عروش الطغاة والظالمين. فكان بحق مصداق لصفات المؤمن الواقعي التي جاءت على لسان أمير المؤمنين عليه السلام نقلاً عن الرسول الكريم صلى الله عليه وآله: «رهبان بالليل، أسد بالنهار»[1]. فالمنظومة الفكرية للإمام لا تجعل بعداً معيناً يغطي على باقي الأبعاد.

في يوم (٢٦) من الشهر العاشر سنة (١٣٥٧ هـ.ش)، عندما وصل خبر هروب الشاه من إيران إلى محل إقامة الإمام الخميني رحمه الله في (نوفل لوشاتو) في باريس، انهال الصحفيون على محل إقامة الإمام، يتساءلون عن موقف سماحته، فوقف الإمام للإجابة عن أسئلة الصحفيين ووسائل الإعلام، لكنهم فوجئوا بعد فترة أنه قطع كلامه وذهب إلى خيمة قريبة من المكان، فلما استفسروا عن السبب من المترجم، أجابهم: لقد حان وقت صلاة الظهر، فذهب لأداء صلاته.

فلاحظوا اهتمام الإمام بوقت فضيلة الصلاة رغم أنه لم يكن في بلد إسلامي حتى يتذكر وقتها من صوت الأذان مثلاً، وهذا يدل على تلك الخصائص المتميزة في شخصيته واهتمامه بجميع أبعاد الإسلام بدرجة واحدة.

لكننا نلاحظ في أوقات أخرى أن الإمام رحمه الله كان يؤخر صلاته عن وقت فضيلتها إذا ما كان في ذلك إنقاذ لحياة أحد المسلمين.

---

(١) بحار الأنوار، ج: ٦٤، ص: ٢٧٦.

فأنا أتذكر عندما كنا في مدينة النجف الأشرف، أن بعض العوائل الشيعية المظلومة في العراق قد هرعت إلى بيت الإمام تستنجده لإنقاذ حياة أبنائهم بعد أن أخبرهم رجال الأمن بأن يذهبوا لآخر وداع معهم قبل إعدامهم في اليوم التالي: فقام الإمام مباشرة باستدعاء محافظ النجف، وبقي ينتظره في ساحة البيت، مما اضطره لعدم الذهاب إلى المسجد وإقامة الصلاة، وبالتالي تأخرت الصلاة في تلك الليلة عن وقت فضيلتها، حتى وصل المحافظ.

فسماحته كان يترك الصلاة في وقت الفضيلة أو صلاة الجماعة، إذا ما تزاحمت مع إنقاذ حياة أحد المسلمين.

الخصيصة الثانية من خصائص الإمام: معرفته الكاملة بالشعب، إذ يمكن الادعاء أن أحداً لا يمكن أن يضاهيه في معرفته العميقة بالشعب، فهناك الكثير ممن درسوا علم الاجتماع إلاّ أن أعمالهم ومواقفهم لا تدل أبداً على معرفتهم بالشعب، إن الإمام أثبت للجميع معرفته العميقة بالشعب وإيمانه بقدراته. عندما بدأت النهضة في يوم (١٦ من الشهر السابع سنة ١٣٤١) اجتمع عدد من المراجع آنذاك في بيت آية الله الحائري، فتحدث الإمام قائلا: إذا ما أردنا إنقاذ الإسلام وإيران من الاضمحلال علينا أن نقطع نسل سلالة بهلوي من إيران، إن الاستعمار الإنجليزي جلب هذه العائلة إلى إيران لكي تدمّر هذا البلد ويقضي على الإسلام. فتعجب الحاضرون من كلام الإمام، وأجابه السيد شريعتمداري قائلاً: بأي قوة نستطيع تحقيق مثل هذا الهدف؟! نحن لا نمتلك قنبلة في جيوبنا حتى نضرب بها رأس الشاه.

فأجاب الإمام: نحن نمتلك ما هو أقوى من القنبلة وهو الشعب. قيل: فضحك بعض الحاضرين وقالوا إن هذا الشعب الذي تتحدث عنه يفر من الميدان بصوت مفرقعة واحدة؟ فالشعب ليس وفياً! فأجاب الإمام: إذا ما سعينا لتوعيته وتعريفه بمسؤولياته، فإنه سيصمد معنا إلى آخر لحظة!.

وكان للإمام مثل هذه المناقشة مع آية الله السيد محسن الحكيم عندما قدم إلى النجف الأشرف، حيث يمكنكم مطالعة تفاصيل هذا اللقاء في المجلد الثاني من كتاب (نهضة الإمام الخميني).

فقد طرح سماحة الإمام هذه المسألة عندما التقى بالسيد الحكيم في النجف الأشرف سنة (١٣٤٤هـ ش) ؛ بأنه من المناسب أن يسافر إلى إيران للوقوف على الأوضاع عن قرب.

فأجاب السيد الحكيم: كلا، إني على إطلاع كامل بأوضاع إيران، لكننا ماذا نفعل، نحن لا نملك القدرة على التصدي للأوضاع هناك، فذكره الإمام بقدرة الشعب، لكن السيد الحكيم أجابه: إن الشعب يكذب ولا يمكن الاعتماد عليه. فدافع الإمام عن الشعب قائلاً: إذا ما قمنا بتوعيته وتعريفه بمسؤولياته سيقف معنا إلى آخر لحظة. وقد أثبت الإمام باستمرار حقانية معرفته بهذا الشعب وإيمانه العميق بقدرته.

الخصيصة الثالثة من خصائص الإمام: رؤيته العالمية. فهو لم يكن إفراطياً في رؤيته العالمية ليفكر بالوطن العالمي الواحد، ولم يكن مثل بعض القوميين والعنصريين الذين يحصرون تفكيرهم بحدود إيران فقط. وإنما كان يفكر بإيران ويفتخر بدفاعه عنها لكنه في الوقت

ذاته كان يهتم بمصير الشعوب الأخرى وخاصة الشعوب الإسلامية. فسماحته كان يتميز برؤيته الواسعة ونظرته الثاقبة لجميع المسائل، لذا عندما بدأ بنهضته الإسلامية لم يقتصر في خطابه على إيران، بل كان منذ البداية يحذر من خطر الصهيونية ويدعو إلى نصرة القضية الفلسطينية.

الخصيصة الرابعة من خصائص الإمام: توكله القوي على الله تعالى، إلى درجة أنه لم يكن يهاب أي قدرة في مقابل قدرة الله، فكان قوياً صامداً في مواجهة جميع المظاهر المادية والدنيوية، ولم ينحن أو يخضع أمامها أبداً. فالإمام عندما أطلق جملته الشهيرة (أمريكا لا يمكنها أن ترتكب أي حماقة) لم يكن قد أطلقها كشعار أو دعاية؛ بل لاعتقاد عميق بها، وهذا الاعتقاد هو الذي كان يحمله أيضاً عندما قال: الشاه لا يمكنه أن يرتكب أي حماقة.

فالجميع كان يعتقد باستحالة إسقاط نظام الشاه بالاعتماد على شعب أعزل ودون اللجوء إلى قوة عسكرية؛ لكن الإمام أثبت للجميع بسهولة صحة هذا الفكر، وبين للعالم إمكانية الاعتماد على القوة الإلهية في تحقيق الانتصار على جميع القوى المادية. ولا أنسى أبداً كلمات الإمام التي تبين مدى إيمانه وقدرته الإلهية العظيمة، واذكر هنا مضمون هذه الكلمات: إذا ما أرادوا أن يسلبوا منا ديننا، فسنسلب منهم جميع دنياهم.

والخصيصة الخامسة من خصائص الإمام: الثقة بالنفس والإرادة القوية.

للأسف أن الانهزامية تمثل أحد الآفات المزمنة التي تواجه الشعوب الإسلامية. فأنا أتذكر عندما سافرت في سنة (١٣٥٤هـ.ش) من النجف إلى أوروبا، والتقيت هناك بأعضاء اتحاد الطلبة الإسلاميين، شاهدت مدى الانهزامية التي يعيشونها هناك إلى درجة أن أحد الجامعيين قطع صلاته عندما دخل عليه جاره الألماني الذي يسكن بالقرب من منزله! في حين نرى في المقابل مدى العزة التي يشعر بها الإمام وإرادته القوية عندما قطع كلامه أمام مئات الصحفيين ووسائل الإعلام وعدسات التصوير، وذهب لأداء صلاته، أو موقفه العظيم عندما أقام العزاء على سيد الشهداء في يوم عاشوراء أمام ذلك الحشد الكبير من الصحفيين الذين تجمعوا في محل إقامته في نوفل لوشاتو! وطلب من أحد الخطباء قراءة العزاء على سيد الشهداء، وما أن بدأ الخطيب حتى أمسك الإمام بمنديله وأجهش بالبكاء، ليثير بذلك دهشة الحاضرين وتعجبهم، وليتساءلوا عن معنى هذا الموقف؟! الذي كان يبين هذه الإرادة الحديدية لسماحة الإمام ﷺ التي كانت جلية في جميع مواقفه وشؤون حياته العامة، ولعبت دوراً أساسياً في انتصار الثورة الإسلامية.

الخصيصة السادسة: ثبات الإمام الذي كان يضرب به المثل. فقد مرت على المناضلين والمجاهدين في إيران فترة شعروا بها باليأس من تحقيق الانتصار على هذا النظام، حتى أن بعضهم بعثوا ممثلين عنهم إلى النجف لثني الإمام عن موقفه المتشدد من التعامل مع الشاه، أو على الأقل يسمح لهم بلقاء الشاه ليأخذوا منه بعض الوعود

بمحاربة الفساد المتمثل بعدم الالتزام بالحجاب، والملاهي وبيع الخمور وغيرها، مقابل التنازل عن معارضته.

لكن الإمام وقف بثبات بوجه هذا اليأس ولم يسمح لرجال الدين مهادنة النظام الشاهنشاهي في تلك الظروف التي لم يكن أحد يتوقع فيها انتصار الشعب الإيراني الأعزل.

لقد تمكن الإمام تحقيق هذا الانتصار العظيم بسبب كشفه جميع الأمور والأسرار أمام الشعب. فنحن إذا ما طالعنا حياة علماء الدين لوجدنا ارتباطهم الوثيق مع الشعب، لكنهم كانوا يتجنبون كشف المسائل الخفية التي تجري بينهم وبين المسؤولين في الحكومة أمام عامة الناس؛ لكن الإمام ومنذ بداية النهضة في اليوم (١٦ من الشهر السابع ١٣٤١هـ.ش) اقترح ثلاثة نقاط على العلماء الذين كانوا معه في منزل آية الله الحائري:

١ـ الكشف عن جميع الرسائل والبرقيات المتبادلة بين المسؤولين الحكوميين وعلماء الدين، وطبعها وعرضها للناس.

٢ـ على الخطباء والوعّاظ في المساجد والمنابر توضيح القوانين والقرارات الصادرة في مجالس الولايات والمحافظات[1] وشرحها للناس وكشف المخاطر المترتبة عليها.

---

(١) الولايات والمحافظات: مشروع تقدم به رئيس الوزراء آنذاك (عَلَم)، ويحمل في طياته قرارات مخالفة للإسلام، مما أثار سخط علماء الدين وخاصة الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ، وأدى إلى غضب شعبي واسع وعارم، انتهى بعد صمود الإمام على مواقفه إلى إلغائه وعدم المصادقة عليه.

لأنه كان يدرك أن الشعب الذي يسير بشكل أعمى خلف قائده سيصل إلى مرحلة يتوقف عندها، لكنه سيستمر في الصمود خلف قائده إذا ما وعى بدقة أهدافه ومطالبه.

٣ـ طلب الإمام من العلماء في تلك الجلسة مخاطبة الشعب والبوح لهم بما يدور في أذهانهم، وكان الإمام الشخص الوحيد الذي وفى بوعده، وبقي حتى آخر لحظة من حياته يتكلم مع الناس ويبوح لهم بأسراره، وكان الشعب يعلم كل شيء عن قائده. فعندما كتب كارتر ـ الرئيس الأمريكي ـ رسالة إلى الإمام، أمر مباشرة بنشرها في الصحف، وكذلك بالنسبة للأحداث التي وقعت في السجن بينه وبين مسؤولي الحكومة، شرح تفاصيلها للناس خلال جلستين بعد خروجه من السجن.

وفي الفترة التي سبقت دخوله السجن كان يرفض دائماً لقاء المسؤولين في جلسات مغلقة، حيث اتفق قبل النهضة أن قام علي أميني رئيس الوزراء آنذاك، بزيارة قم ولقاء كبار الشخصيات في الحوزة في جلسات خاصة، لكنه عندما زار الإمام، أصر الإمام على لقائه في مجلسه العام أمام الناس قائلاً: كل من يريد لقائي عليه أن يحضر في الجلسة العامة أمام الطالب والبقال والكاسب والمراجعين من مختلف طبقات المجتمع، وبالتالي لم يسمح بلقاء رئيس الوزراء بعيداً عن أنظار الناس.

وكان هذا الموقف هو الحاكم أيضاً في علاقاته مع المسؤولين العراقيين عندما كان في النجف الأشرف، حيث كان يلتقي بهم في

الجلسات العامة ولم يسمح أبداً بلقائهم في جلسات خاصة. وعندما خرج الإمام من السجن لم يكتف ببيان كل ما حصل بينه وبين مسؤولي نظام الشاه، بل كشف عن أمر مهم جداً؛ إذ عندما أطلق سراح الإمام في (١٦ من الشهر الأول سنة ١٣٤٣هـ.ش) ألقى خطابه الأول في تاريخ (١٣٤٣/١/٢١) أمام جماعة من طلاب جامعة طهران الذين استقبلوه بباقة من الورود، كشف فيه للناس عن أهم الأحداث التي جرت في السجن.

أما خطابه الثاني فألقاه في تاريخ (١٣٤٣/١/٢٦هـ.ش) في المسجد الأعظم في قم، قال فيه: تحدث معي ممثل الحكومة الحالية ـ حكومة حسن علي منصور ـ قائلاً: إن الحكومة السابقة ويعني بها حكومة أسد الله علم، قد أساءت التعامل معكم، لكنها ولله الحمد قد انتهت، وجاءت بدلاً عنها حكومة جديدة أغلب أعضائها ينتمون إلى عوائل من علماء الدين!

فأجابه الإمام: «نحن لم نكن على عداء مع الحكومة السابقة، ولن يكون لنا معكم عقد أخوة؛ بل نحن نراقب أعمالكم، فإذا ما كانت كأعمال أسلافكم، ستطردون حينها أذلاء كما طردوا من قبلكم؛ لكنكم إذا تعاملتم بأسلوب آخر واحترمتم القوانين الإسلامية، وألغيتم القوانين المخالفة للإسلام» عندها تأنى الإمام قليلاً! ثم قال: «إن هذه الجملة: وألغيتم القوانين المخالفة للإسلام» لم أقلها هناك بل أقولها الآن!

فكان ذلك دليلاً واضحاً على مدى الصدق الذي يتحلى به الإمام

عندما يتحدث مع الشعب، فلم يكن هناك أحد حتى يعترض على كلامه؛ لكن صفة الصدق والصراحة والكشف عن الحقيقة أمام الشعب، هي التي دفعته للمكث قليلاً ثم العودة لإصلاح كلامه، والتصريح بـ (لم أقل هذه الجملة)، وهذا شيء عجيب وأمر مهم حقاً.

ومن أهم الصفات الأخرى عند الإمام هي ، التطابق الكامل بين كلامه وعمله. فأنا أعتقد أن أشد الضربات التي تتعرض لها الشخصيات الاجتماعية المهمة تنتج عن عدم تطابق كلامهم مع عملهم. حتى أني قرأت في أحد الكتب أو سمعت ذلك من خطاب إحدى الشخصيات الاجتماعية، إن أحد عوامل انحطاط المسلمين وانحرافهم عن مسير الإسلام، يكمن في هذا الاختلاف بين الكلام والعمل عند حكام المسلمين الذين تولوا الحكم في العهود التي تلت عهد النبي الأكرم ﷺ، لكن الإمام رحمه الله لم يطلق أبداً شعاراً لم يعمل به. فهو عندما كان يدعوا الناس إلى الزهد والحياة البسيطة كان يعيش أشد حالات الزهد والبساطة، وعندما كان يدعوهم إلى النضال والجهاد كان يقف في الخطوط الأولى من الجهاد والمواجهة، وعندما كان يدعوهم إلى الاستقامة والثبات في طريق الحق كان الأشد استقامة وثباتاً في هذا الطريق.

كانت تلك الصفات تمثل قطرة من بحر صفات الإمام الراحل رحمه الله، والتي إذا ما تحلى بها أي إنسان آخر، سيتمكن حتماً من قيادة الأمة إلى مسيرة الهداية والصلاح.

ـ سماحة الدكتور روحاني البعض يحاول التقليل من شأن الثورة

وعظمتها من خلال التقليل من الدور المهم الذي أداه القائد والشعب في انتصار الثورة بإتباع مبادئ الإسلام الحنيف، ويدعون أن العامل الأساسي في انتصار الثورة عام (١٣٥٧هـ.ش) هو تخاذل النظام البهلوي في مقاومة الحركة الشعبية! أي أن الشعب والقيادة لم يئدوا دوراً كبيراً في انتصار الثورة؛ وإنما كان السبب الرئيسي في الانتصار هو تخاذل الشاه! والآن نريد أن نسمع رأيكم عن الإمكانات الهائلة التي جندها الشاه لمواجهة وإفشال هذه العوامل الثلاثة التي ذكرتموها؟ إضافة إلى دور القوى الخارجية في تلك الأحداث؟ وهل اكتفت هذه الدول بالتفرج على ما يجري في إيران، أم أنها لعبت دوراً أساسياً في هذه الأحداث في العلن والخفاء؟

❖ إن أشد الأساليب التي كانت تستخدمها جميع الأنظمة الطاغوتية في مقابل الشعب، ومنها بالطبع النظام البهلوي الأول والثاني[1]، هو القضاء على جميع المعارضين وكتم أفواههم، ولأجل تحقيق هذا الهدف أقدم رضاخان على تنفيذ المهمة التي أوكلتها له دولة الإنجليز، فارتكب المجزرة الشنيعة في مسجد گوهرشاد.

واستمر ابنه محمد رضا شاه على نفس النهج فارتكب مجزرة المدرسة الفيضية في قم بتاريخ (١٣٤٢/١/٢هـ.ش) في مراسم استشهاد الإمام الصادق عليه السلام، لأنه كان يظن أنه إذا تمكن من إعادة الأوضاع في إيران كما كانت في السابق، وتمكن من إخماد جذوة النهضة، لاستطاع بسهولة أن ينفذ المخطط المرسوم له من قبل أمريكا. وهكذا الحال

---

(١) الأول رضاخان، والثاني محمد رضا شاه.

بالنسبة لحادثة (١٥ خرداد، ١٣٤٢/٣/١٥هـ.ش)، حيث سعى الشاه في الخمسينيات إلى إخماد جذوة النهضة بين أفراد الشعب، من خلال الممارسات الوحشية التي اعتمدها في القضاء على معارضيه، فملأ السجون بالأبرياء لعله يتمكن من فرض سلطته واستمرارها.

حتى وصل الأمر إلى كتم أفواه الناس ومنعهم من مجرد الحديث عن الإمام، فكان يعاقب كل من يذكر اسم الإمام أو يبين لمقلديه ولو فتوى واحدة من فتاواه، بسجنه لثلاث سنوات على الأقل، لكن تلك الأوضاع تلاشت وفشلت تماماً بعد استشهاد آية الله السيد مصطفى الخميني أعلى الله مقامه، حيث أقيمت مجالس الفاتحة على روحه في جميع مدن البلاد من محافظة خوزستان إلى خراسان، وتوالت الاعتراضات بشكل فقد فيها النظام السيطرة على الأوضاع، وشعرت الحكومة بفشل سياساتها السابقة وما سعت لفرضه على الشعب. وأنا أعتقد أن المقالة التي كتبها (رشيدي مطلق) تحت عنوان (الرجعية الحمراء والسوداء) وتتضمن إهانة صريحة للإمام، كانت مؤامرة أقدم عليها الشاه لإثارة الشعب ودفعه للتظاهر في الشوارع، فيعمد حينها النظام لارتكاب مجزرة بحقهم، حتى يتمكن من فرض سيطرته مرة أخرى وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل استشهاد السيد مصطفى الخميني. والوثائق الموجودة تشير إلى اعتراف أجهزة السافاك بردود الفعل الشديدة للناس ضد كل إهانة أو نقد يوجه للإمام في الصحف من قبل أحد الخونة أو أحد المسؤولين في نظام الشاه. فلما أحس الشاه أن الأوضاع ستخرج عن سيطرته بعد أن تعالت الأصوات المؤيدة

للإمام الخميني ﷺ في كافة مناطق البلاد، فكر في الإعداد لمجزرة شديدة لعله يتمكن بعدها من إعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل استشهاد السيد مصطفى الخميني؛ لذلك كتبوا تلك المقالة المهينة، فخرج الناس إلى الشوارع ـ كما توقع ـ منددين بهذا العمل، واشتدت ردود الفعل في مختلف مدن البلاد خاصة في مدينة قم حيث أدت إلى الاعتراضات وتعطيل الأسواق، فاستغل النظام البهلوي هذه الفرصة وتصدى للمتظاهرين بشدة فوقعت الأحداث المأساوية التي شهدتها قم في (١٩ دي، أي ١٣٥٦/١٠/١٩ هـ.ش).

وقد أثبتت التجربة أن نظام الشاه لم يتمكن من تحقيق أهدافه المشؤومة، أما لماذا كانت حادثة (١٩ دي ١٣٥٦هـ.ش) تختلف عن الحوادث الأخرى التي سبقتها، فهذا بحث آخر.

فانتم إذا ما دققتم في الصحف والوثائق السرية التي تركها جهاز السافاك، للاحظتم أن الفترة بين (١٩ من شهر دي عام ١٣٥٦و ٢٢ من شهر بهمن عام ١٣٥٧هـ.ش) قد شهدت في كل يوم منها تقريباً العديد من المواجهات والمصادمات والقتل والاعتقال.

وهذه الأحداث المتلاحقة تشير إلى الفجائع المؤسفة التي تعرض لها الشعب الإيراني يومياً في الفترة التي أعقبت الشهر السابع من عام (١٣٥٧هـ.ش)، والتي راح ضحيتها العديد من الجرحى والشهداء.

والآن إذا ما قال أحد أن الشاه قد تخاذل أو تراجع، فالحق كذلك، إذ لم يبق أمامه شيء لم يفعله سوى التراجع!.

وأبرز مثال على ذلك الفاجعة التي حدثت في ساحة (جالة) في (١٣٥٧/٦/١٧هـ.ش). ولعل هؤلاء المحللون كانوا يعتقدون أن الشاه كان ينبغي أن يقتل على الأقل مليوني شخص من أفراد الشعب حتى يبقى في سلطته! والواقع أن الوثائق كانت تشير إلى تخطيط الشاه لهذا العمل لكنه لم يتمكن من تنفيذه. فقد تحدث أحد طاقم الطائرة المروحية التي أرسلت في يوم عاشوراء من أصفهان إلى طهران لتنفيذ مهمة سرية، قائلاً: لقد أرسلونا إلى طهران لتنفيذ مهمة خاصة لم يطلعونا عليها، وإنما اقتصر عملنا في التحليق عدة أيام في سماء طهران وتحديد المواقع التي كان علينا قصفها! ثم علمنا بعدها أن مهمتنا تتركز على قصف المظاهرات الشعبية التي ستنطلق في طهران في يوم عاشوراء وخمنوا عدد المشاركين فيها باثنين إلى ثلاثة ملايين شخص، فكانوا يتوقعون أن يتجاوز عدد القتلى مليوني شخص.

لكن هذه المؤامرة باءت بالفشل بعد أن هجم جنديان وضابط شجاع على المطعم الذي كان يجتمع فيه عدد من الطيارين والضباط والقادة في الجيش، وأمروهم بالنهوض فتصوروا أن مسؤولاً كبيراً جاء لزيارة المعسكر، فنهضوا جميعاً ووقفوا في الاستعداد خلف طاولة الطعام، فأطلقوا النار عليهم وأردوهم قتلى جميعاً.

ولعل هذه المؤامرة الفاشلة كانت تمثل الضربة القاضية التي قضت على جميع أحلام الشاه في إمكانية العودة إلى سلطته، لأنه لم يعد يمكنه الاعتماد حتى على جيشه، ومما تقدم يتضح أن الحقيقة غير ما يتصوره بعض المحللين المغرضين، وأن الشاه قد قاوم هذه

النهضة الشعبية بكل الوسائل الممكنة لكنه فشل في التصدي لهذا المد الجماهيري لسببين رئيسيين: الأول، إن الشعب أصبح يدرك مسألة الموت والشهادة في سبيل تحقيق أهدافه المقدسة. والثاني، أن الشاه لم يعد يستطيع الاعتماد على الجيش بعد أن انضم معظم أفراده ـ باستثناء قادته الكبار ـ إلى صفوف الشعب فلم يعد يمكنه دفع الجيش لمواجهة هذه الحركة الشعبية، ولم تمض إلاّ فترة قصيرة حتى رأى جميع المعسكرات قد خلت من أفرادها بعد أن عادت إلى صفوف الشعب[1].

ـ سماحة الدكتور روحاني بعد الثورة وخاصة في السنوات الأخيرة، ظهرت مؤلفات كثيرة تتحدث عن دور الأحزاب والتيارات السياسية المختلفة في قيام الثورة الإسلامية وانتصارها؛ لذا نود أن تبينوا لنا ما هو حجم الدور الذي لعبته التيارات والمجموعات المختلفة في انتصار هذه النهضة، سواء كانت تيارات سياسية أو مسلحة أو فكرية، أو يسارية أو ليبرالية؟ وهل يمكن اعتبارها عاملاً مؤثراً وأساسياً في انتصار النهضة الإسلامية؟

❖ إذا ما حاولتم دراسة الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في البلاد، وقمتم بتحليل دور المجموعات المسلحة ونشاطها آنذاك، لوجدتم أن دورها جميعاً قد انتهى تقريباً منذ العام (١٣٥٥هـ.ش)، فهي إما تعرضت للهزيمة بشكل كامل وتلاشى دورها أو تعرضت لانشقاقات متعددة، لأن بعضها أدرك عدم فائدة الكفاح المسلح في هذه الفترة،

---

(١) مؤسسة التحقيقات في تاريخ إيران المعاصر.

مما جعلها توقف نشاطها المسلح، وبعضها الآخر بقي على تشدده وإصراره على العمل المسلح، مما أفرز صراعاً بين مجموعاتها وتياراتها، إذن، دور هذه الأحزاب والمجموعات السياسية؛ قد تلاشى منذ عام (١٣٥٥)، بعد أن تعرض بعض أفرادها للسجن، وتوقف البعض الآخر عن نشاطه المسلح، وبالتالي لا يمكن التحدث عن دورهم في انتصار الثورة الإسلامية.

بالطبع، لو شاركت هذه الأحزاب والمجموعات المسلحة مع الإمام والشعب في النهضة الإسلامية، لحصلت على دورها ومكانتها في هذه النهضة العظيمة؛ لكنهم فشلوا في الحصول على مثل هذا الدور بسبب سعيهم المحموم لتحقيق أهدافهم ومصالحهم السياسية.

ولعلكم تتذكرون تلك الأيام الأولى من عمر الثورة الإسلامية، حيث أن التظاهرات الحاشدة التي كانت تملأ الشوارع بأمواج متلاطمة من المتظاهرين، لكن ما أن يرفع أحد صور قادة الحركات السياسية آنذاك، فوراً تشاهدون رد فعل الناس الغاضبة فيعمدوا إلى إنزالها وتمزيقها؛ أو اعتراضهم الشديد عندما يرون لافتة كتب عليها مثلاً شعارات تعود لمنظمة (مجاهدي خلق).

فالحقيقة أن هذه التنظيمات لا فقط لم تمتلك قاعدة شعبية قوية؛ بل كانت مرفوضة من قبل الناس، خاصة بعد التغيير الأيدلوجي الذي حدث في (منظمة منافقي خلق) عام (١٣٥٤م)، حيث أدى إلى القضاء عليها تماماً. إضافة إلى ذلك، كانت هذه التنظيمات والأحزاب السياسية، تتميز بعدة صفات:

١ــ كانت تعتقد أن أمريكا قوة عظمى، لا يمكن معارضتها أو مواجهتها، وبالتالي ينبغي التحرك بما يتلائم مع سياستها، ولم يكن هذا الموقف يرتبط فقط بفترة تصاعد أحداث الثورة وشدتها، وإنما كان يعود إلى بداية نهضة الإمام سنة (١٣٤١)، فكان ذلك الاختلاف الأول بين هذه التنظيمات السياسية وحركة الثورة الأصيلة. وهذا يعني أن هذه التنظيمات لم تكن تعتقد بمواجهة أمريكا.

٢ـ كانت تعتقد أن الشاه يمثل رمزاً لوحدة البلاد، فكانوا يحذرون من المساس به، أو التقليل من مكانته لأن ذلك سيؤدي إلى تجزئة إيران.

٣ـ كانت ترفض دور الدين في التحولات السياسية، وبالتالي كان نضالها وصراعها يقتصر على المطالب الجزئية التي تطرحها ضمن إطار البرلمان كحرية التعبير وحرية القلم وحرية الانتخابات بينما كان الإمام ﷺ يطرح مسألة إسقاط النظام الديكتاتوري والمواجهة مع أمريكا.

وبعد أن اشتدت النهضة وبلغت ذروتها في عام (١٣٥٦هـ.ش)، وتحولت إلى ثورة عظيمة، ظهرت هذه التنظيمات فجأة ونزلت إلى ساحة المواجهة، بعد أن التزمت الصمت في الفترة الماضية! فأنتم إذا ما تراجعون الوثائق والبيانات الصادرة عن (نهضة آزادي)[1] تجدون أن آخر بيان صدر عن هذه المنظمة في فترة الأربعينات والخمسينات، كان يعود إلى سنة (١٣٤٣)، أما الفترة التي أعقبتها حتى سنة (١٣٥٦) فلم

---

(١) نهضة الحرية.

تشهد صدور أي بيان أو رد فعل عن هذه المنظمة، رغم أن هذه الفترة كانت قد شهدت الكثير من الأحداث المؤلمة وبروز المشاكل المعقدة في البلاد. وعندما أصدر النظام البهلوي قانون (كابيتولاسيون)[١] ، لم يتصدى له سوى الإمام ﷺ حيث أصدر بيانه التاريخي، وخطب خطبته الشهيرة آنذاك، في حين التزمت جميع التنظيمات الأخرى الصمت ولم يصدر منها أي رد فعل على هذا القانون، سواء حركة (نهضة آزادي) أو (جبهة ملي)[٢] ، أو أولئك الذين كانوا يرفعون شعارات المشاركة الشعبية والتأكيد على القومية، ويرددون: (لا حياة بدون إيران)! لأن هذه التنظيمات كانت ترى في رفض هذا القانون مواجهة مع أمريكا، وهم يصرحون: (نحن لا نمتلك القدرة الكافية على مثل هذه المواجهة).

أما في سنة (١٣٥٦هـ.ش) عندما اشتدت الثورة الإسلامية بقيادة الإمام الراحل ﷺ وبلغت ذروتها، ظهرت هذه التنظيمات مرة أخرى ونزلت إلى ساحة المواجهة، لكن بنفس شعاراتها السابقة، أي حرية الانتخابات، وحرية الصحافة، وحرية التعبير، وحرية القلم! بل رفعوا شعار (الملك للشاه وليس الحكومة)، وهنا تصدى الإمام ﷺ لهم وصرح: إن أولئك الذين التزموا الصمت طيلة الفترة الماضية، وكانوا يساندون فيها الشاه، يسعون اليوم إلى تبرئة هذا النظام من خلال استغلال شعارات حرية التعبير وحرية القلم وتطبيق الدستور!

---

(١) قانون يمنح الحصانة القانونية للرعاية الأمريكيين في إيران.
(٢) الجبهة الوطنية.

وإني أحذرهم إذا لم يعودوا إلى صف الشعب واستمروا على نهجهم السابق، سأكشفهم للشعب!

عندها اضطرت هذه التنظيمات والحركات إلى الوقوف في صف الشعب، حتى لا يسقطوا تماماً من احترام الشعب وتأييده.

وهؤلاء أيضاً حتى اللحظات الأخيرة من سقوط النظام وقرب هروب الشاه من إيران عام (١٣٥٧هـ.ش)، سعوا إلى إرسال المهندس بازرگان ممثلاً عنهم للقاء الإمام ﷺ في نوفل لوشاتو لإقناع الإمام بضرورة إتباع سياسة التغيير التدريجي وخطوة بخطوة! لكن عندما رفض الإمام هذا الأمر، وعاد بازرگان خائباً إلى إيران! أدرك جناح (نهضة آزادي) في الخارج برئاسة الدكتور إبراهيم يزدي وصادق قطب زادة، خطورة موقفهم واحتمال سقوطهم من اعتبار الشعب واحترامه، فاضطروا إلى إصدار بيان ينتقدون فيه موقف المهندس بازرگان من سياسة التغيير التدريجي للنظام، وأعلنوا وفاءهم وتأييدهم للإمام ﷺ والثورة.

فهؤلاء لم يقبلوا من الأساس بالإمام وبما يعتقده من إسلامية الثورة، بل لم يكونوا يعتقدوا حتى بمواجهة الإمام للشاه وأمريكا! إلا أن الجو العام الذي كان سائداً في البلاد آنذاك، لم يترك لهم سوى مجاراة الشعب والتظاهر بتأييد النهضة، لكنهم في النهاية اضطروا في فترة معينة إلى إعلان مواقفهم الصريحة مما أبعدهم عن ساحة المواجهة والحكومة.

وأرى من المناسب هنا أن أنقل لكم قسماً من البيان الذي أصدره

جناح (نهضة آزادي) خارج البلاد بتاريخ (١٣٥٧/٤/٩هـ.ش) ينتقد فيه موقف المهندس بازرگان، جاء فيه: (... نحن نرفض ونعارض بشدة، أي نوع من المواجهة التي تدعو إلى التغيير التدريجي أو التغيير خطوة خطوة، والتي يمكن أن تؤدي إلى تقوية النظام الشاهنشاهي وتثبيته، أو إلى انحراف النهضة عن مسيرها الأصلي، وعليه فنحن نعتقد أن رفع شعارات نظير استقرار الحكومة الوطنية، أو (الملك للشاه وليس الحكومة) في مقابل شعار تشكيل الجمهورية الإسلامية، هي شعارات خاطئة بل منحرفة..). وهذا يعني أن (نهضة آزادي) اضطرت إلى إصدار هذا البيان، حتى تحافظ على كرامتها ولا يسقط اعتبارها تماماً عند الشعب.

ـ سماحة الدكتور روحاني ما هو موقف الإمام بالنسبة لهذه التيارات والتنظيمات؟ فمن جهة ينقل تاريخ الثورة أن الإمام تصدى بحِكمة للبعض ممن حاولوا أن يعبروا عن آرائهم وأفكارهم باسم الثورة وشخص الإمام ﵀، وصرح بعدم وجود ناطق رسمي باسمه، مما منعهم من مصادرة اسم الإمام والثورة لتحقيق مصالحهم السياسية؛ ومن جهة أخرى لاحظنا أن الإمام ﵀، ورغم معرفته التامة بالتيارات الليبرالية، قد سمح لهم بعد انتصار الثورة بتبؤ مكانة مهمة في النظام السياسي الجديد وشغلهم مناصب مهمة في الحكومة، واستمر ذلك حتى مرحلة السيطرة على وكر التجسس الأمريكي[1] في طهران، ورئاسة بني صدر للجمهورية! وبالتالي أصبحنا نواجه مشكلة في فهم وتحليل موقف

(١) السفارة الأمريكية.

الإمام ﷺ في السماح لليبراليين، بشغل مناصب حساسة في النظام الجديد؟

❖ للإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن استعرض لكم مسألتين؛ أحدهما أنقل لكم فيها حكاية من ذكرياتي لهذه الأحداث، والثانية أتحدث فيها عن حقيقة توصلت إليها بنفسي.

أما الحكاية فهي: في الفترة التي كنت أتشرف فيها بخدمة الإمام ﷺ في نوفل لوشاتو، مرت علينا ظروف عصيبة جداً، إذ رغم معرفتنا الكاملة بالإمام واعتقادنا الراسخ به، لكن الأوضاع لم تكن تجري بالشكل الذي عبر عنه نبي الله إبراهيم عليه السلام ﴿وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، فقد كنت قلقاً جداً على مصير الثورة لئلا تتعرض لنفس مصير الحركة الدستورية (المشروطة)؛ لأني كنت أرى بني صدر، وقطب زادة، وإبراهيم يزدي وحاشيتهم هم من يتصدرون الأحداث.

فرغم أن الإمام صرح بعدم وجود ناطق رسمي باسمه؛ إلاّ أن هؤلاء الأفراد ظهروا في واجهة الأحداث في نوفل لوشاتو، وكانوا يجلبون أشخاصاً للقاء الإمام ﷺ لم نكن نعرفهم من قبل! حتى أنهم كانوا يسمحون للشخصيات الأجنبية؛ ممن يرفعون شعارات التيارات اليمنية التي تتلائم مع أفكارهم ومصالحهم السياسية، بلقاء الإمام، في حين كانوا يرفضون لقاءه بالشخصيات والتيارات الأخرى، كما حدث مع الحزب الشيوعي الفرنسي!

فقد كان هؤلاء الأفراد يهتمون جداً بمثل هذه المسائل ويتحركون على ضوئها. فعندما كنا نرى هذه المسائل والأحداث، كنا نستشعر

الخطر على مصير الثورة الإسلامية لئلا يؤول إلى ما آل إليه مصير الحركة الدستورية.

وأخيراً قررت أن أطلع الإمام على ما يدور في ذهني من قلق، فقلت له: إني أشعر أن الثورة تسير إلى مصير يشبه مصير الحركة الدستورية! فرد الإمام: لماذا؟ فنقلت له عدداً من المعلومات المهمة التي وضحتها في مقدمة كتاب (شريعتمداري في محكمة التاريخ)، فأجاب الإمام: أولاً أن هؤلاء الأفراد لا يفكرون الآن بهذا الشكل، إذ أنهم لم يكونوا في السابق معتقدين بقدرة الإسلام على تحريك الشعب بهذا الشكل؛ فاضطروا للاتجاه نحو النظريات الغربية لتحقيق مصالحهم وأهدافهم، والآن لما رأوا قدرة الإسلام على إحداث مثل هذا التأثير بالشعب، غيروا مواقفهم السابقة.

ثانياً: إذا ما أراد هؤلاء الأفراد الاستمرار بمواقفهم المنحرفة السابقة، فإن الشعب سيتصدى لهم ولن يسمح لهم بذلك أبداً؛ لأن الشعب الإيراني في هذه الفترة غير الشعب في فترة الحركة الدستورية!

أما السبب الأساسي الذي جعل الإمام يفسح المجال أمامهم لتشكيل الحكومة المؤقتة، هو أنه لم يكن يرغب أبداً في فرض رأيه الشخصي على الجميع، وكانت هذه إحدى خصال الإمام المتميزة. ويظهر ذلك جلياً في كلامه الذي جاء في رسالته إلى الشيخ المنتظري، عندما قال: والله لم أكن موافقاً على تشكيل الحكومة المؤقتةبرئاسةالمهندس بازرگان، لكني قبلت برأي أعضاء شورى الثورة.

وكذلك الحال عندما أوصى الإمام مجلس الخبراء بأنه لا يرى مصلحة في تعيين الشيخ المنتظري كخليفة لقائد الثورة؛ لكنه قبل ذلك عندما رأى إصرارهم على هذا الأمر. فالإمام كان يسعى دائماً لمنع عودة الحكومة الفردية في إيران؛ ويترك للمسؤولين وممثلي الشعب إبداء أرائهم في أمور البلاد.

كما أن الإمام ﷺ ورغم ملاحظاته السلبية على شخصية الدكتور مصدق، لكنه لم يعترض على إطلاق اسمه على بعض الشوارع في إيران. وعندما عرضت عليه النسخة الأولى من كتاب (نهضة الإمام الخميني) الذي كتبته في النجف الأشرف، لم يعترض على ما جاء فيه، رغم أني في مقدمة الكتاب كنت قد وصفت الدكتور مصدق بلقب (مصدق البطل)، لأن أسلوبه ﷺ في التعامل كان يسمح للأفراد أن يتوصلوا بأنفسهم إلى النتيجة الحقيقية. وبعد تحرير مدينة (خرمشهر) أوصى الإمام القادة العسكريين بعدم الدخول إلى الأراضي العراقية، إذا ما خرج صدام من الأراضي الإيرانية، وقال لهم أن الجنود العراقيين لا يمتلكون اليوم حافزاً حقيقياً للقتال، لكن عندما تدخلون الأراضي العراقية سيجدون حافزاً مضاعفاً للدفاع عن أراضيهم! لكن الإمام تراجع عن رأيه عندما رأى أن القادة العسكريين آنذاك قرروا القضاء على صدام وملاحقة جنوده داخل الأراضي العراقية.

أو عندما دخلت أول فرقاطة أمريكية المياه الإقليمية الإيرانية، أصدر الإمام أمراً بضربها، لكنه لم يفرض هذا الأمر عندما رأى أن رأي القادة العسكريين غير ذلك.

فكانت هذه نقطة مهمة سعى الإمام ﷺ دائماً لتثبيتها في تعامله، وهي عدم استغلاله القدرة والسلطة لفرض رأيه على المسؤولين، لكنه بالطبع كان يتعامل بأسلوب آخر عندما كان يستشعر الخطر من عمل أو تصرف معين.

فالإمام لم يكن كالساسة العاديين الذين عادة ما يطلقون شعارات الدفاع عن الشعب وخدمتهم قبل وصولهم لمسند السلطة، لكن ما أن يتربعون عليه حتى ينسوا هذا الشعب. والإمام لم يكن موافقاً على بني صدر ولم ينتخبه، لكنه قبل به رئيساً للجمهورية احتراماً لرأي الشعب وإرادته، رغم أنه ﷺ كان بإمكانه أن يؤثر على رأي الناس من خلال المقربين إليه إفهام الناس بأنه لا يؤيد بني صدر، ولا يراه أهلاً لهذا المنصب، إذ لو علم الناس أن رأي الإمام ﷺ كان سلبياً تجاه بني صدر، لما انتخبوه ولما فاز في الانتخابات؛ لأن الإمام ﷺ كان يحكم قلوبهم، لكنه أراد فسح المجال للناس لينتخبوا بإرادتهم.

وأثناء مراسم تنفيذ حكم رئاسة الجمهورية لبني صدر، صرح الإمام بجملة فهم منها أصحاب الفكر أن الإمام يحمل نظرة سلبية نحو بني صدر، إذ قال ﷺ: «ليعلم السيد بني صدر أن حبّ الدنيا رأس كل خطيئة».

وبعد انتصار الثورة الإسلامية أشار الإمام في إحدى خطبه إلى الحركات الوطنية ـ الدينية، فعمد قطب زادة وكان مديراً للإذاعة والتلفزيون آنذاك، إلى حذف هذه الجملة من خطاب الإمام! ورغم أن الإمام كان بإمكانه ببساطة توبيخه أو عزله عن منصبه، لكنه اكتفى

فقط بالقول اخبروا السيد قطب زادة إما أن لا يعرض خطابي أو إذا عرضه، عليه أن يعرضه كاملاً دون أن يحذف منه شيئاً! فكان هذا الأسلوب هو الأسلوب الذي اتبعه مؤسس نظام الجمهورية الإسلامية، فكان بعيداً تماماً عن أسلوب الحكومات الديكتاتورية؛ لذا عندما أعلن أغلب أعضاء شورى الثورة تأييدهم للمهندس بازرگان، احترم الإمام ﷺ رأيهم وقبل به رئيساً للحكومة المؤقتة.

ويجب أن نذعن اليوم، أن الإمام ﷺ لو لم يسمح في تلك الفترة لمثل بازرگان وبني صدر بالوصول إلى السلطة، لأصبحوا اليوم أبطالاً وشخصيات وطنية بنظر الناس، ولتصوروا أنهم لو كانوا في السلطة آنذاك لتمكنوا من تحسين أوضاع إيران نحو الأفضل!

فبلا شك لو لم تحدث هذه الأمور آنذاك ولم يصل أمثال بازرگان وبني صدر للسلطة، ولم تنكشف أمام الشعب شخصياتهم وأهدافهم، لتمكنوا اليوم من الوصول إلى السلطة وعرضوا نظام الجمهورية الإسلامية للخطر والتشويه.

ـ سماحة الدكتور روحاني نتطرق الآن إلى بحث المكاسب التي حققتها الثورة الإسلامية والإخفاقات التي تعرضت لها، والتي أكد عليها قائد الثورة الإسلامية كثيراً في كلامه ووصاياه. وبالطبع، هي مسألة طبيعية تحدث في جميع الثورات، إذ يمكن ملاحظة مثل هذه المكاسب والإخفاقات في الثورات الأخرى التي حدثت في مختلف دول العالم التي لا تختلف عنا في الجغرافية فحسب؛ بل تختلف عن ثورتنا في جميع المعايير والخصائص.

والسؤال هو هل أن الإخفاقات التي تعرضت لها ثورتنا الإسلامية، قد حدثت بشكل طبيعي؟ وهل أن المكاسب التي حققتها ثورتنا المباركة طيلة العقود الثلاثة من عمرها، تليق بشأن النظام، وتتلائم مع توقعات إمامنا الراحل مؤسس ثورتنا الإسلامية، ويمكن الاعتماد عليها كأساس يبعث فينا الأمل لاستمرار الثورة وتكاملها؟

❖ عند البحث عن الأسباب الموجبة لبعض الإخفاقات في مسيرة الثورة، ينبغي الأخذ بنظر الاعتبار، أن العديد من الأفراد الذين ساندوا الثورة في البداية واتبعوا خط الإمام الراحل ﵀، لم يكن لديهم الاعتقاد الكافي والمعرفة الصحيحة بالثورة وأهدافها؛ بل اتخذوا هذا الموقف تحت تأثير الجو العام الذي كان سائداً آنذاك؛ وبالتالي فإن مثل هؤلاء الأفراد ضعيفي النفوس سيغيرون مواقفهم بسرعة عندما يتعرضون لظروف وأجواء أخرى؛ فمثلاً عندما كان الجو العام ثورياً يناهض بشدة المواقف الأمريكية، تحرك أحد الأفراد بسرعة واشترك في عملية السيطرة على وكر التجسس الأمريكي؛ لكنه عاد بعد فترة وصرح بأن هذه العملية كانت خاطئة، لأنه رأى أن الأوضاع والظروف قد تغيرت، وظن أن الوقت قد حان لإعطاء الضوء الأخضر لأمريكا كي تستعد للهجوم على إيران واحتلالها، فتضعه على رأس السلطة فيها! وهذا الموقف يدل على أن مثل هؤلاء الأفراد هم ضعفاء النفوس لم يؤمنوا بخط الإمام ﵀ ولم يفهموا لغة الناس ومطالبهم، ولم يفهم الناس لغتهم ومواقفهم، وبالتالي هم مصداق بارز لمن وصفهم الإمام علي ﵇ «يميلون مع كل ريح»[1].

---

(١) نهج البلاغة، (الكتاب: ٧٩).

فحال البعض في مواقفهم بالنسبة لثورتنا الإسلامية، كحال (القشة) في مهب الريح؛ فهم يتكلمون باسم الثورة ويؤيدونها متى ما شعروا أن مصالحهم تقتضي مثل هذا الموقف؛ لكنهم سريعاً ما يغيرون مواقفهم ويعودون إلى وضعهم الأول عندما يشعرون بعدم الفائدة من ذلك.

كان الإمام رحمه الله كثيراً ما يذيل رسائله بعبارة (أرجو من سماحتكم أن تدعوا لي بحسن العاقبة)، وفي تلك الأيام لم أكن أدرك كثيراً معنى هذه العبارة، لكني بعدها أدركت أن حسن العاقبة مسألة مهمة وصعبة جداً، إذ من الصعب جداً على الإنسان أن يحافظ على نفسه ومواقفه في كل الظروف والأوضاع دون أن يتعرض للزلل والخطأ.

فمثل طلحة والزبير وقفوا مع الإمام علي عليه السلام في عهد الخلفاء الثلاثة، ورفضا كل الإغراءات التي قدمت لهما من الأموال والسلطة والمناصب، واختارا البقاء مع علي عليه السلام؛ لكنهما في النهاية لم يتحملا هذا الموقف الصعب واهتزا من الداخل، ولم يتمكنا من الاستمرار على موقف الوفاء لرسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام؛ وهذا الأمر ينطبق على ثورتنا الإسلامية أيضاً؛ إذ أن الكثير من المعارضين للثورة، إما كانوا معارضين للثورة منذ البداية، أو عارضوا الثورة تحت تأثير بعض الأجواء والظروف، أو كانوا من البسطاء الذين يسهل خداعهم والتأثير عليهم، فالشيخ المنتظري كان من صنف الأفراد الذين تم خداعهم بسهولة فضلوا الطريق. وهكذا إذا ما أردنا أن نتحدث عن الأفراد الذين غيروا عقيدتهم ومواقفهم من الثورة، لاحتجنا إلى وقت طويل لا يسعه هذا المجال.

أما بالنسبة للمكاسب التي حققتها الثورة، فينبغي علينا أن ندرك جيداً أن هذا الموضوع يرتبط بمدى قدرتنا على إفهام الجيل الجديد بالإمام وخط الإمام، ونهج الإمام وثورة الإمام، وإذا ما تمكنا من توضيح هذه المفاهيم المرتبطة بالإمام ﷺ لهذا الجيل، فحتماً سنتمكن من تطوير هذه المكاسب لخدمة المسيرة التكاملية للثورة، أما إذا اتخذنا من هذه المسألة كشعار مقطعي وظرفي فقط، فسنتعرض بلا شك لمشاكل كثيرة. إن التجارب التي نحصل عليها من مطالعتنا لتاريخ الإسلام، تبين لنا أن منهج الإمام ﷺ لا ينفصل أبداً عن منهج الإسلام؛ فرغم أن الإسلام تعرض في الجزيرة العربية للضعف والانحراف، لكننا مع ذلك ما زلنا نشاهد ثمرات هذا الدين المبين تظهر في أقصى بقاع العالم، فيدخل في الإسلام أفراد آمنوا بالإسلام ومبادئه، أكثر من بعض الأفراد الذين دافعوا عن الإسلام في صف رسول الله ﷺ. وهكذا الحال بالنسبة لثورتنا الإسلامية، إذ يمكن أن تتعرض في مرحلة معينة للضعف والإخفاق، لكنها سرعان ما تستعيد عافيتها وقوتها تدريجياً؛ لأنها ثورة ارتبطت بشدة بالإسلام ومبادئه، وبالتالي ستواصل نشر مبادئها ببركة الإمام ﷺ في مختلف بلاد العالم، وتحافظ على مكانتها القوية في نفوس المستضعفين أينما كانوا.

ـ سماحة الدكتور روحاني نظراً للفترة الطويلة التي قضيتموها قريباً من الإمام الخميني ﷺ، ورعايته الخاصة لكم في هذه السنوات، نطلب منكم كحسن ختام لهذا اللقاء أن تذكروا لنا إحدى ذكرياتكم الجميلة عن الإمام ﷺ، وتقدموها هدية لقرائنا الكرام.

❖ بالطبع ذكرياتي عن الإمام ﷺ كثيرة جداً، سأذكر لكم بعضاً منها: عندما كنت مشغولاً بتأليف كتاب نهضة الإمام في جزءه الأول، ذكرت في ترجمته الشخصية العبارة التالية: (... والدة الإمام الخميني (السيدة هاجر) كانت امرأة عالمة حيّة الضمير) فعندما قرأ الإمام بعضاً من الكتاب قبل طباعته وضع خطاً على عبارة (عالمة حية الضمير)، وامتعض من هذا الأسلوب، قائلاً كيف عرفت أن هذه المرأة التي عاشت قبل قرن من الزمان كانت (عالمة حية الضمير)؟! كما كنت قد كتبت أن (الإمام الخميني في مرحلة طفولته كان مولعاً جداً بالدراسة..) فوضع الإمام خطاً أيضاً على كلمة (جداً)، وهكذا كان الإمام يوصيني دائماً بالابتعاد عن المبالغة وتجنب الجمل المجانبة للحقيقة، وسأقدم لكم نموذجين من خطه الشريف للبركة، يمكنكم نشرها في مجلتكم إذا ما رأيتم ذلك مناسباً.

ومن الذكريات الأخرى، أتذكر في الأيام التي أعقبت انتصار الثورة الإسلامية، أنني في أحد أيام شهر (بهمن) عام (١٣٥٧)، كنت حاضراً مع السيد الإمام ﷺ في مدرسة علوي، وكان برنامج لقاءاته يقتضي أن تقتصر الفترة الصباحية للقاء النساء، بينما اختصت فترة ما بعد الظهر للقاء الرجال.

وفي هذه الأثناء كان الإمام ﷺ يلتقي بعدد من العلماء حوالي (١٠ ـ ١٢) عالماً، إذ دخل الشيخ المنتظري وتوجه نحو الإمام ﷺ قائلاً: أرى أن توقفوا لقاءات النساء! لأن الازدحام أصبح شديداً، وأخشى أن تتعرض للنساء في ظل هذا الازدحام للأذى أو يسقط

حجابهن من على رؤوسهن فتنكشف بذلك رقابهن! فنظر الإمام ﷺ إليه، وقال: «هل تظن أن البيانات التي كنا نصدرها هي التي أخرجت الشاه؟ كلا بل هن اللواتي أخرجن الشاه» ؛ ولعل البعض يتصور أن جواب الإمام لم يكن مناسباً جداً لاقتراح الشيخ المنتظري، لكن ينبغي القول أن الإمام ﷺ من الشخصيات التي كانت تفكر في الأمور لما بعد خمسين سنة!

فالإمام كان يشعر أن هذا الاقتراح سيمثل بداية للسياسة التدريجية لعزل النساء وإبعادهن عن الحياة الاجتماعية، إذ كان الإمام يعتقد بشكل كبير بضرورة مشاركة النساء في جميع ميادين الثورة الإسلامية، لأنه كان يعتقد بحقهن ودورهن المتميز في هذه الميادين.

فعندما كان الإمام يقول أن النساء هي التي كانت تقود الرجال في الثورة، لم يكن قوله لمجرد الشعار أو المبالغة والعياذ بالله؛ بل كان يعتقد أن النساء بمواقفهن المتميزة هي التي حفزت الرجال على المشاركة في الثورة.

فموقف الإمام ورده على اقتراح الشيخ المنتظري، كان استقراءاً لما يمكن أن يحدث في المستقبل، إذ كان يرى أن هذا الاقتراح إذا كان سيخرج النساء اليوم بهذه الحجة، فسيكون مقدمة لإبعادهن في المستقبل عن ميادين الثورة الأخرى.

وقد رأينا سابقاً ما حدث في مجلس الشورى الإسلامي في دورته الثانية، إذ بحجة الفوضى التي حدثت في الدورة الأولى من مجلس الشورى الإسلامي، اقترح البعض على الإمام أن يأمر بمنع مشاركة

النساء في المجلس، أي يكون لهن حق التصويت فقط وليس حق التشريح! لكن اعترض على ذلك بشدة ولم يسمح بطرحه أيضاً.

ـ نشكر سماحتكم لاهتمامكم وحسن متابعتكم لهذه المجلة.

❖ أنا أيضاً أشكر جهودكم وجهود العاملين والمفكرين المسؤولين عن هذه المجلة الموقرة، وأسأل الله تعالى أن يوفقكم باستمرار لأداء هذه الرسالة الثقافية المقدسة وتحقيق الأهداف المقدسة للإمام والثورة الإسلامية.

الإمام الثوري

وهو في التسعين قبل ٧٤ يوما على رحيله ماذا يقول؟

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حضرات الأخوات والإخوان والأبناء الأعزاء لمهجّري الحرب المفروضة أيّدهم الله تعالى، التحية والسلام للمقام المقدس لمولد النصف من شعبان وآخر ذخائر الإمامة بقية الله أرواحنا فداه ومنادي العدالة الأبدية الأوحد والحامل الأكبر لراية خلاص الإنسان من قيود الظلم والجور والاستكبار، السلام عليه والسلام على المنتظرين الواقعيّين له، السلام على غيبته وظهوره، السلام على الذين يدركون حقيقة ظهوره ويرتوون من كأس هدْيه ومعرفته.

السلام على شعب إيران العظيم الذي يمهّد بتضحيته وإيثاره وتقديمه الشهداء طريق ظهوره، والسلام عليكم أيتها الأخوات والإخوان المهاجرين يا من تعدّون بلا شك من الذين تحمّلوا خسائر روحية وجسمية ومالية كبيرة في الحرب المفروضة.

لقد تركتم يا أعزائي أماكن معيشتكم وراحتكم مضطرين عند الهجوم الوحشي لصدّام، وبعد أيام الدفاع البطولي ولجأتم إلى معيشة، الحق أنها شاقة في مكان بعيد عن مساكنكم.

لقد لمستم أنتم مهاجري الحرب المفروضة الأعزاء صعاب الحرب لحظة بلحظة، وسوف تعمل الجمهورية الإسلامية في المستقبل القريب على تسليمكم مدنكم وقراكم بحالة أفضل من قبل إن شاء الله ولكن عليكم أن تتقدموا أنتم بمساعدة المسؤولين ومساندتهم في إعادة إعمار وتجديد قراكم ومدنكم.

إن أطفالكم الصغار في تلك الأيام غدوا مثل سائر إخوانهم وأخواتهم شباباً سيدافعون عن وطنهم الإسلامي.

إن الجميع يعلم أن تحمل ضغط وصعاب ثماني سنين لم يكن إلا من أجل الإسلام العزيز، لذا فعلى المسؤولين أن يكونوا في دفاعهم عن الإسلام أكثر صلابة من أي وقت مضى، ويقفوا بكل قوتهم في وجه العدوان العسكري والسياسي والثقافي لناهبي الشعوب، إذ أن عالم الاستكبار لاسيما الغربي أدرك خطورة نمو الإسلام المحمدي الخالص على مصالحه غير المشروعة.

إن الغرب والشرق ليدركان جيداً أن الإسلام هو القوة الوحيدة القادرة على طردهما من الميدان، فقد تلقيا من الإسلام ضربات قوية خلال سنيّ الثورة الإسلامية، وقرروا إبادة الإسلام في إيران مركز الإسلام المحمدي الخالص بأي وسيلة ممكنة، إذا أمكنتهم القوة العسكرية فيها، فإن لم يمكن فبترويج ثقافتهم المبتذلة وتغريب الشعب عن الإسلام وعن ثقافته الوطنية، وإذا لم يُجد أي الطريقين نفعاً عمدوا إلى تمكين عملائهم المرتزقة من المنافقين والليبراليين واللادينيين الذين يرون قتل العلماء والأبرياء كشرب الماء، من

البيوتات ومراكز الإدارات، عسى أن يبلغوا بهم أهدافهم المشؤومة، وقد أعلن هؤلاء المتسللون مراراً أن كلمتهم تخرج من أفواه البسطاء الموجّهين.

لقد أعلنتها مراراً أنني لم أعاهد أي شخص في أي رتبة كان على الأخوة الدائمة، إن إطار صداقتي لأي فرد هو سلامة سلوكه، الدفاع عن الإسلام وحزب الله هو الأساس الذي لا يمكن المساس به في سياسة الجمهورية الإسلامية.

علينا أن نكون حماة لأولئك الذين حز المنافقون رؤوسهم من الوريد إلى الوريد أمام نسائهم وأطفالهم وهم على مائدة الإفطار، علينا أن نكون أعداء ألدّاء لأولئك الذين خرجت ملفات تعاملهم مع أمريكا من وكر الجاسوسية يجب أن يكون عشقنا لله لا للتاريخ، إن الذين يدافعون عن المنافقين والليبراليين لا مكان لهم بين شعبنا العزيز المقدم للشهداء، وإذا لم ترعو أيادي الأجانب وأولئك المخدوعين غير الواعين الذين أصبحوا من حيث لا يشعرون أبواقاً للآخرين، ولم يتوقفوا عن هذه التحركات فإن جماهيرنا سوف تطردهم مدحورين، فلا عفو ولا تسامح.

ليعلم مسؤولونا أن ثورتنا لا تنحصر بإيران، فثورة شعب إيران هي طليعة انطلاقة الثورة الكبرى للعالم الإسلامي التي يحمل رايتها الحجة المنتظر أرواحنا فداه، عسى أن يمن الله على جميع المسلمين وجميع العالم ويجعل فرجه وظهوره في عصرنا الحاضر.

إذا أدّت المشاكل الاقتصادية والمادية إلى إشغال المسؤولين ولو

للحظة واحدة عن المسؤولية الملقاة على عواتقهم فإن الأمر يستتبع خطراً عظيماً وخيانة كبرى.

على حكومة الجمهورية الإسلامية أن تبذل كل جهدها ووسعها لإدارة أمور الناس بأفضل ما يمكن، ولكن ذلك لا يعني انصرافها عن الأهداف العظيمة للثورة، وهي تأسيس حكومة الإسلام العالمية.

على شعب إيران العزيز الذي يعتبر بحق الوجه المشرق لتاريخ الإسلام العظيم في العصر الحاضر السعي لتحمّل الصعاب والضغوط والرضا بها، في سبيل الله حتى يتمكن كبار مسؤولي البلاد من النهوض بواجبهم الأساسي وهو نشر الإسلام في العالم، وعلى الشعب أن يطالب المسؤولين بأن يجعلوا مصلحة الإسلام والمسلمين هي إطار أخوتهم وعلاقتهم المتينة.

على من يخفى أن شعبنا العزيز يكابد الصعاب، وأن الغلاء ونقص المواد يضغطان على الطبقة المستضعفة؟ ولكن أيضاً ليس هناك من لا يعلم أن الإعراض عن الثقافة المبتذلة للعالم المعاصر وتأسيس ثقافة جديدة للعالم قائمة على أسس الإسلام والتعامل الإسلامي الحازم مع أمريكا وروسيا، لا يستتبع ضغوطاً ومشاقاً واستشهاداً وجوعاً، لقد اختار شعبنا هذا الطريق بنفسه وسيدفع ثمن هذا الاختيار أيضاً، وهو يفتخر بذلك.

إن تحطيم ثقافة الشرق والغرب وإسقاطهما غير متيسر إلا بالاستشهاد وهذا الأمر من الواضحات.

إنني أطالب كبار المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية من

جديد ألا يخشوا أحداً ولا شيئاً إلا الله العظيم، وليشدوا أحزمة العزم ولا يتركوا مقارعة ومجاهدة فساد رأسمالية الغرب وفحشائها ولا خواء الشيوعية وعدوانها إذ لا نزال في أول طريق جهادنا العالمي ضد الشرق والغرب.

وهل الأمر أكثر من أننا سوف نُهزم ظاهرياً أمام ناهبي العالم (الاستكبار) ويقضى علينا؟

وهل الأمر أكثر من أن يسمونا أمام العالم بالوحشية والتحجر؟

وهل الأمر أكثر من أن يسعوا لسحق عزة الإسلام والمسلمين عبر عملائهم القتلة المنحرفين والمتسلّلين إلى المواقع والمراكز والمحافل؟

وهل الأمر أكثر من أن يرتقي الأعزاء من أبناء الإسلام المحمدي الخالص في أرجاء المعمورة أعواد المشانق؟

وهل الأمر أكثر من أن تساق نساء وأطفال حزب الله أسارا في العالم؟

فدع عالم الماديّات الساقط يفعل بنا كل هذا ولكن نقوم نحن بتكليفنا وواجبنا الإسلامي.

يحتمل أن كون قضية محاربة حجاب النساء في أماكن الدراسة والتعليم حركة تضليلية تهدف إلى التقليل من إشراق وعظمة صورة دفاع العالم الإسلامي عن الرسول الأكرم ﷺ، وإن كانت هذه القضية بحد ذاتها واحدة من المآسي التي ابتليت بها الشعوب الإسلامية، إذ كيف يعتبر في العالم الحر، على حد زعمهم، إجبار النساء والفتيات

والمسلمات على خلع الحجاب مثلاً للديمقراطية ومجرد قولنا أن إجماع فقهاء المسلمين يحكم بإعدام من يهين رسول الإسلام ﷺ يرون ذلك مخالفاً للحرية الشخصية؟!! حقاً لماذا يلتزم العالم الصمت تجاه من لا يسمح للفتيات المسلمات بارتداء الحجاب الإسلامي كما يرغبن وهن يدرسن أن يُدرّسن في الجامعات؟! هل من علة لهذا الصمت سوى تفسير وتحليل معنى الحرية ومجالات التمتع بها هو بأيدي أولئك الذين يناهضون الأساس الحقيقي للحرّية المقدّسة.

إن الله تبارك وتعالى جعلنا اليوم في موقع المسؤولية فلا ينبغي لنا الغفلة، اليوم يجب مكافحة ومقارعة الجمود والسكون والصمت وتثبيت وتعزيز روح حركة الثورة، وأكرر القول أن على مسؤولي النظام الإسلامي كافة وعلى جماهير إيران أن يعلموا «أن الشرق والغرب لن يهدأ لهم بال حتى تتحقق أمانيهم وأوهامهم الساذجة بانتزاعكم عن هويتكم الإسلامية، فلا تفرحوا بالعلاقات مع المعتدين ولا يحزنكم قطعها، راقبوا الأعداء على الدوام بدقة وبصيرة، لا تتركوهم في أمان فإن فعلتم فسوف لن يتركوكم تأمنون للحظة».

وبالطبع نحن نقدر جهود وزارة الخارجية، وعلى العاملين فيها أن يواصلوا تحرّكاتهم بجد، وبمشيئة الله سينجحون في إنجاز مهمتهم وواجباتهم الإلهية والسياسية الكبرى.

أسأل الله عز اسمه أن يرجع مهاجري الحرب المفروضة الأعزاء إلى ديارهم بأسرع ما يمكن، ويمن عليهم بهناء العودة لها ويعوضهم عن مرارة الغربة وصعوباتها.

الإمام الثوري وهو في التسعين قبل ٧٤ يوما على رحيله ماذا يقول؟.....٤٧

ختاماً أرى من اللازم عليَّ شكر كافة الذين رعوا ولا زالوا يرعون مهاجري الحرب المفروضة وكذلك شكر مسؤولي مؤسسة مهاجري الحرب الذين بذلوا جهوداً مضنية في رعاية هؤلاء الأعزاء.

والسلام عليكم ورحمة الله.

٢ فروردين ١٣٦٨ هـ.ش

١٤ شعبان ١٤٠٩ هـ.ق

روح الله الموسوي الخميني

مع تلميذ الإمام[1]

آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل اللنكراني قدس سره[2]

الحوزة: برأيكم ما هي الأهداف التي كان الإمام الراحل يسعى لتحقيقها، وما هي الأهداف والقضايا المقدسة التي أكد عليها الإمام، والتي ينبغي علينا بذل أقصى الجهود للمحافظة عليها؟

---

(١) حوار أجرته مجلة الحوزة أيام رحيل الإمام.

(٢) ولد سماحة آية الله العظمى الشيخ محمد فاضل موحدي اللنكراني في عام (١٣١٠هـ.ش)، وبعد أن أتم عدة مراحل من الدراسة الكلاسيكية، دخل الحوزة العلمية وأنهى فيها مرحلة السطوح بمدة قصيرة جداً، وحضر بعدها بحث الخارج عند آية الله العظمى السيد البروجردي وهو في التاسعة عشر من عمره، فأثمر هذا الحضور عن تأليفه لكتاب (نهاية التقريرات) الذي طبع ونشر في مجلدين. كما حضر سماحته بحث الخارج لسماحة الإمام الخميني قدس سره لمدة ٩ سنوات، فأثمر ذلك الحضور عن تدوينه لمعظم دروس الفقه والأصول لسماحة الإمام. ومند بداية دراسته الحوزوية، اهتم سماحته بالتدريس والتعليم، وكان منهمكاً بتدريس خارج الفقه والأصول منذ سنوات عديدة، وحضر درسه العديد من الطلاب والفضلاء المهتمين بآرائه العلمية.

من تأليفات سماحته: أحكام التخلي والوضوء من كتاب تفصيل الشريعة في شرح تحرير الوسيلة، تقيه مداراتي، آيين كشورداری از ديدگاه إمام علي عليه السلام، الاجتهاد والتقليد من كتاب الشريعة في شرح تحرير الوسيلة.

توفي ١ جمادى الثانية ١٤٢٨هـ.ق في مدينة قم المقدسة.

❖ إن أهـم الأهـداف التـي كـان الإمـام الراحـل يؤكـد عليهـا، هـو المحافظة على ثبات واستقرار نظـام الجمهوريـة الإسـلامية فـي إيـران، لأن فوائد هذا النظام وتأثيراته لا تقتصر على الشعب الإيراني فحـسب؛ بل أصبح يمثل نموذجاً يحتذى به في جميع العالم، حتى أننا نـرى فـي كثير من الدول الإسـلامية أن الثـورات والانتفاضـات والاعتراضـات التـي تحـصل فيهـا بـين الحـين والآخـر، كانـت تـستمد أهـدافها مـن نظـام الجمهورية الإسلامية. وأنا أعتقد أن أحد الأسباب الرئيسية التـي كانـت تقف وراء معارضـة القـوى العظمـى لهـذا النظـام، هـو شـدة تـأثير هـذا النظام على سائر الـدول الأخـرى، وإلا فـإن مـسألة تأسـيس النظـام فـي إيران واستقراره لم تعد تشكّل بالنسبة لهـم أولويـة مهمـة. فوجـود هـذا النظـام يـشكل مانعـاً لاسـتمرار حكومـة الحكـام فـي الـدول مـا تـسمى بالـدول الإسـلامية، وحتـى الحكـام فـي الـدول غيـر الإسـلامية. وبعبـارة أوضح، إن وجود هذا النظام حتـى لـو اقتـصر علـى حـدود إيـران فقـط، سيكون مضراً جداً لحكومة آل سعود في السعودية، وكذلك يكـون مـضراً لحكومة حكام الأردن والدول الإسلامية الأخرى.

فكان هذا الموضوع هو السبب الرئيسي الذي دفع القـوى العظمـى لحـشد كافـة قواهـا لمعارضـة هـذا النظـام ومحاربتـه؛ لأن وجـوده كـان يـشكل خطـراً محـدقاً لجميـع الحكـام فـي العـالم. وإلا فـإن دولـة مثـل بريطانيـا لـم تـشهد طيلـة تاريخهـا مظـاهرة يـشارك فيهـا مئتـي ألـف شخص تخـرج فـي شـوارع لنـدن للاعتـراض علـى موقـف الحكومـة مـن قضية سلمان رشـدي، مما يعني أن وجـود مثل هـذه الثورة يسبب القلق

لجميع القوى العظمى، لهذا نجدهم قد عقدوا العزم على القضاء عليها وإفشالها، مما دفع الإمام الراحل قدس سره للتأكيد على أن أهم أهدافه هو المحافظة على هذا النظام وهذه الثورة، حتى لا تقتصر في أهدافها على إيران فحسب، بل ينبغي أن تطرح كنموذج يحتذى به في جميع دول العالم، لتكون سبباً لقيام جميع الشعوب المستضعفة ضد الطغاة المستبدين، لتتمخض عنها نتائج قيمة جداً.

الحوزة: سماحتكم كنتم أحد طلاب الإمام الراحل قدس سره، وقد استفدتم كثيراً من دروسه ومحاضراته، لذا نرجو من سماحتكم التفضل علينا قدر الإمكان، بذكر أهم مبانيه الفقهية والأصولية؟

❖ إن من أهم الأشياء التي أعتز بها حتى الآن، هو حضوري في درس سماحة الإمام قدس سره واستفادتي من علمه في الفقه والأصول لما يقرب العشر سنوات. فقد حضرت عند سماحته دورة كاملة في الأصول من بداية مباحث الألفاظ إلى نهاية مباحث الاجتهاد والتقليد، وكذلك حضرت عنده مباحث عديدة في الفقه منها: معظم مباحث باب الطهارة، وبعض مباحث الأبواب الفقهية الأخرى. فكانت تلك الأيام التي حضرت فيها درس الإمام قدس سره واستفدت فيها من علومه الفقهية والأصولية، أجمل وأسعد أيام حياتي؛ لأن جُلَّ اهتمام الإمام قدس سره في تلك الفترة، كان منصباً على المطالعة والتدريس والتأليف فقط، فكان يقضي جميع وقته في هذه المجالات، حتى أن درسه الفقهي كان يمتد أحياناً لساعة ونصف دون أن يشعر سماحته أو طلابه بالتعب، لما كانت تمتاز به بحوثه وآرائه العلمية من دقة وظرافة وقبول عند جميع

الحاضرين، بحيث لم يكن يبقى عندهم أي إشكال أو إبهام فيها. وقد كان منهج سماحته في البحث خاصة في الأصول يمتاز بأنه كان يبحث في المسائل بصورة جذرية، فيناقش بدقة الأسس التي تستند عليها إلى درجة أنه كان يجعلنا في كثير من الأحيان نطمئن بصحة آراء سماحته ، وخطأ ما ذهب إليه العلماء الآخرون.

ولازلت حتى الآن أتلذذ بحلاوة تلك الجلسات، إلى درجة أنها لا تفارق مخيلتي أبداً، لما كانت تبعثه في نفسي من نشاط وحيوية، فيا لها من أيام جميلة وقيمة جداً؛ لذلك كان حضوري في درس الإمام قدس سره من أهم الأشياء التي أعتز بها في حياتي.

وقد ترك في حياته مؤلفات قيمة كثيرة في الفقه والأصول والفلسفة والبحوث الأخلاقية، والعقائدية، والبحوث المرتبطة بالحديث والرواية، حيث تم طبع ونشر معظم هذه المؤلفات ليستفيد منها الكثير من الطلاب والمحققين. وقد ألف سماحته كتاباً في الفقه والمكاسب المحرمة والبيع والخيارات، حيث قام بتدريسها في النجف الأشرف، وكانت تتضمن تحقيقات قيمة ونقاط دقيقة قل نظيرها في الكتب والدروس الأخرى، لما كان يتمتع به الإمام قدس سره من مقام علمي رفيع وشخصية جامعة لكثير من الصفات المتميزة، حيث كان فقيهاً كاملاً وأصولياً متبحراً، وفيلسوفاً منقطع النظير، وعارفاً بمعنى الكلمة، ومتخصّصاً في علم الأخلاق وأنواع التربية العلمية الأخلاقية وغيرها من المجالات الأخرى، وحتى الشعر كان له نصيب مهم من اهتمامات سماحة الإمام قدس سره .

أما بيان الأستاذ، فقد كان جميلاً وواضحاً إلى درجة أنه لم يكن يحتاج فيها أحد من الطلاب إلى السؤال والاستفسار عن رأي الإمام في تلك المسألة؛ لأن سماحته كان يوضح جميع مطالبه ببيان سهل ودقيق، بحيث كان الطلاب يفهمون قصد الأستاذ في المسألة بشكل واضح جداً. نعم، كان من الممكن أن يحصل للبعض إشكال في أصل الموضوع، لكن لم يكن يحصل لأي أحد إبهام في رأي الأستاذ حول الموضوع، وهذه الصفة تعتبر من الصفات المهمة في التدريس، بحيث يتمكن الأستاذ من إفهام الطلاب برأيه بشكل واضح جداً.

وحول هذه المسألة، أتذكر أننا كنا نناقش ذات يوم مسألة مهمة ذات أبعاد وأحكام متعددة، فاتفق أن أحد الطلاب كان يرى أن الإمام قد أخطأ في مناقشته لهذه المسألة، فأصر الطالب على إشكاله، وكذلك الإمام أصر على بيانه للمسألة، وأخيراً لم يبق أمام الطالب سوى اللجوء إلى القَسَم لإثبات صحة مدعاه، وحسب الظاهر اضطر الإمام قدس سره إلى إتباع نفس الأسلوب والقَسَم على صحة رأيه، فكان موقفاً جميلاً لازلت أتذكره دائماً.

الحوزة: في ظل هذه الظروف الحساسة التي أعقبت ارتحال الإمام قدس سره، والفراغ الذي تركه في المجتمع، برأيكم ما هي المسؤوليات الملقات على عاتق الحوزات العلمية في هذه الظروف؟

❖ فيما يتعلق بمسؤوليات الحوزات العلمية في هذه الظروف الحساسة التي أعقبت ارتحال الإمام قدس سره، ينبغي القول أن الإمام ولحسن الحظ، لم يكن في حياته يهتم فقط بقيادة الشعب وهدايته

إلى الطريق الحق، بل كان شديد الاعتزاز بشعبه ويؤكد كثيراً على ضرورة تطبيق أحكام الإسلام؛ لذلك كتب سماحته وصيته القيمة والمفصلة جداً في ٣٥ صفحة، أشار فيها إلى بعض مسؤوليات الحوزات العلمية، حيث أكد على النقاط التالية:

١ـ إن الاستكبار والقوى المعادية للإسلام مهتمون جداً بموضوع الحوزات العلمية، لذلك من الممكن أن يرسلوا بعض الأفراد للتغلغل في الحوزة ودراسة العلوم الإسلامية؛ وقد يصلوا إلى مقام المرجعية الدينية، وبعد أن يحققوا هذا الهدف يبدأوا بتوجيه ضرباتهم القوية إلى الإسلام حسب المخطط الذي رسمه لهم الاستكبار والقوى العظمى؛ لذا تقع على المسؤولين في الحوزات العلمية والطلاب وأعضاء الحوزة الآخرين، مسؤولية مراقبة الأوضاع في الحوزة فإذا ما لاحظوا فرداً مشكوكاً فيها عليهم إجراء التحقيقات اللازمة عنه، ثم التصدي له ولجميع الأفراد الذين يسعون إلى تحقيق أهداف منحرفة في الحوزة.

٢ـ كان الإمام قدس سره يؤكد كثيراً على الفقه المتعارف في الحوزة، فكان يقول ينبغي أن تبقى دراسة المسائل الفقهية والأصولية على نفس الأسلوب المتعارف عليه سابقاً في الحوزات العلمية. وبالطبع، كان يهدف من ذلك أن يكتسب الطلاب استعداداً كافياً لأمرين: الأول، أن الكثير من المؤسسات والدوائر الحكومية والمناصب في الجمهورية الإسلامية يجب أن تدار من قبل رجال الدين والفضلاء العارفين بالعلوم الإسلامية، فإن لم يتمكن الطلاب من كسب مثل هذا الاستعداد

لإدارة هذه المناصب، لتعطل قسم كبير من الوظائف والمسؤوليات في الدولة، وأصبحنا نواجه نقصاً في هذا المجال، فوظائف كثيرة مثل: القضاء، وتعليم المسائل العقائدية، وإمامة الجمعة، والتبليغ، والمسائل الأخرى تحتاج في إدارتها إلى فضلاء الحوزة؛ لذا ينبغي عليهم تهيئة أنفسهم بالعلم والتقوى بأسرع وقت ممكن، حتى يتمكنوا من إدارة هذه الوظائف والمسؤوليات.

أما الثاني فهو: بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران، وانعكاس ذلك في مختلف دول العالم، بدأ الناس في جميع بلاد العالم يسمعون بالإسلام كثيراً باعتباره أهم العوامل المؤثرة في انتصار هذه الثورة، مما أدى إلى اهتمام المحققين بدراسة الإسلام وتحليل مسائله، فنتج عن ذلك بالطبع ظهور بعض الأسئلة حول الإسلام، وأحياناً بعض الشبهات التي لا يمكن لأحد الإجابة عنها أفضل من الحوزة العلمية، مما حمل الحوزة بعد انتصار الثورة الإسلامية مسؤولية كبرى لم تكن قد شهدت مثلها في السنوات الماضية.

٣ـ النقطة الثالثة التي أشار إليها سماحة الإمام عن الحوزات العلمية في وصيته، هي ضرورة التخصص في العلوم الحديثة التي يحتاجها اليوم المجتمع الإسلامي، وبدأت الحوزة العلمية بتدريسها إلى جانب الدروس الحوزوية المتعارفة، لأن وجود أفراد متخصصين في علوم كالاقتصاد وغيره، سيسهم في رفع المشاكل التي تواجه المجتمع الإسلامي.

الحوزة: نرجو أن تبينوا لنا ولقرائنا الأعزاء بعض المسائل الخاصة بدور الإمام الراحل قدس سره في قيادة الأمة الإسلامية؟

❖ فيما يخص دور الإمام في قيادة الأمة، فإنها مسألة واضحة جداً لكل ذي بصيرة سواء كان رجل دين أم غيره، إذ أن التحول الذي أحدثه الإمام الراحل قدس سره في المجتمع الإيراني شبيه إلى حدٍ ما بالتحول الذي أحدثه الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في المجتمع الجاهلي. فقد بعث الإمام في الإسلام حياة جديدة بعد أن كان يسير نحو الزوال في المجتمع الإيراني؛ بل في المجتمعات الأخرى في العالم. فالانتصار الذي حققه الإمام في الثورة الإسلامية، وقضاءه على النظام الطاغوتي، وإقامته لنظام الجمهورية الإسلامية في إيران، الذي كان يمثل النظام الإسلامي الحقيقي الذي عاد للظهور في إيران بعد ١٤ قرناً من حكومة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان يمثل أهم إنجاز لقيادة هذه الشخصية العظيمة التي قل نظيرها في التاريخ الإسلامي؛ بل وفي تاريخ العالم بأكمله. فالإمام بالتزامه الشديد بالإسلام، لا فقط تمكن من تطبيق قوانين الإسلام فحسب؛ بل استطاع نشر الوعي والعلم عند الشعب الإيراني والشعوب المستضعفة في العالم، وتمكن من توعية الشعب ليدرك المعنى الحقيقي للحرية والاستقلال.

لقد كنا قبل انتصار الثورة، في عهد النظام الطاغوتي، نسير في طريق لم تكن عاقبته سوى زوال الإسلام في جميع أبعاده حتى مظاهره البسيطة، لأن الأعمال التي كان النظام الطاغوتي يقوم بها، كانت تشير إلى وجود برنامج منظم للقضاء حتى على المظاهر الإسلامية البسيطة. فمثلاً مسألة تغيير التاريخ الإسلامي، لم تكن بالمسألة المهمة التي يمكن أن يقال أنها تعارض الاستكبار والنظام؛ لكن مع ذلك

كان النظام يحارب حتى التاريخ الإسلامي؛ لأنه كان يهدف إلى محو جميع مظاهر الإسلام من البلاد، ومنها التاريخ الإسلامي، فسعى إلى استبداله بالتاريخ الملكي. فكان دور الإمام في قيادة الأمة يتمثل بتحرير البلاد من قبضة الاستعمار والاستكبار الذي كان مسيطراً على جميع شؤونها، وفك الأغلال التي كانت تكبل أيدي وأرجل الشعب لسنوات طويلة، ليشعروا بعد الثورة بنوع من الأمان والاطمئنان، فأنتم كنتم تلاحظون نوع الاستعمار الذي كان مسيطراً على مقدرات الشعب لسنوات طويلة، وتشعرون بمدى الألم والمعاناة التي كان يتحملها الشعب آنذاك، بحيث لم يكن يجرأ على المطالبة بأي حق له. وأخيراً، بدأ الجميع هذه الأيام يكتب حول شخصية الإمام الراحل قدس سره، ولم يكن ذلك مقتصراً على الشخصيات الشيعية والإسلامية فقط، بل حتى أعداء الإسلام كانوا يرون في شخصية الإمام قدس سره قائداً متخصصاً بقيادة الأمة بأسلوب قل نظيره في العالم. وقد عبرت بعض الإذاعات الأجنبية عن هذا الموضوع، بأن الإمام وصل إلى مرحلة تمكن فيها من السيطرة على قلوب الملايين من أفراد الشعب الإيراني المستعدين للضحية بأرواحهم في سبيله؛ وهذا النوع من القيادة قل نظيره في التاريخ.

وثيقة

نموذج من ردات الفعل على اعتقال الإمام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾[1].

أيها المسلمون الغيورون وأصحاب الشهامة في إيران والعالم: اعلموا أن السلطة المتجبرة قامت باعتقال أحد الآيات العظام ومجاهد كبير في العالم الإسلامي وأرسلته إلى مكان مجهول مستفيدة من ظلام الليل. لقد وصلت الوقاحة وعدم الحياء لدى هذه الدولة أن تهجم على المراجع.

يشهد الله تعالى إننا وفي ظل هذه الأوضاع لن نهنأ بالحياة في هذا البلد، أيها الشعب الشريف لا يجوز أن ينقص أي شيء من حماسكم أو أن تتراجعوا عن دعم المراجع العظام.

إننا نعلن «هل من ناصر ينصرنا» وسنصمد حتى آخر لحظة.

إن دماءنا ليست أغلى من دم أخينا العزيز حضرة آية الله العظمى السيد الخميني وما لم يرجع إلينا سالماً معافى فإننا لن نتراجع عن حركتنا وسندافع عن حريم الإسلام والقرآن حتى آخر قطرة من دماءنا.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٥٦.

وكما أعلنت للشعب في صحن السيدة المعصومة عليها السلام مأمن المسلمين: أنه لو مست شعرة من رأس عزيزنا فإن رد فعلنا سيكون قاسياً. وإنشاء الله لن نسمح بمس شعرة واحدة من رأسه.

إنني وباقي العلماء والمسلمين عامّة سنتابع الموضوع بصورة جادة.

﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾

شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي

١٢/ محرم /١٣٨٣هـ.ق

جولة في موسوعة

الإمام الخميني من خلال وثائق السافاك

محمد كاظم تقوي[1]

إنّ كتاب (سير مبارزات إمام خميني در آينه اسناد به روايت ساواك)[2] هو كتاب قيم في إثنين وعشرين مجلداً، يتناول من خلال الشرح والتحليل الحياة السياسية والجهادية للإمام الخميني قدس سره وفقاً لما جاء في وثائق جهاز الاستخبارات المركزي الإيراني (ساواك)[3]، كما يتحدث عن أبعاد هذه الشخصية (مؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران).

يتضمن المجلد الأول من هذه المجموعة الوثائق التي تتحدث عن أوضاع الحوزة العلمية في قم، ومكانة الإمام ومميزاته، والأحداث التي جرت قبل حادثة (١٥ خرداد سنة ١٣٤٢ هـ.ش)[4] ومواقف الإمام في تلك الفترة.

---

(١) كاتب ومحقق في الحوزة العلمية في قم.

(٢) تاريخ جهاد الإمام الخميني قدس سره على ضوء ما جاء في وثائق السافاك.

(٣) (ساواك) أو (سافاك) جهاز أمني واستخباراتي في نظام الشاه.

(٤) الموافق تقريباً: ١٩٦٣/٦/٧م.

أما المجلدات من الثاني إلى الثامن، فتتضمن بحوثاً مثل: حادثة (١٥ خرداد)[١] وانعكاساتها، الاعتقالات والنفي، إستشهاد ابن الإمام، انتفاضة (١٩ دي)[٢] في قم، هجرة الإمام إلى باريس، قيادته للثورة من مكان إقامته في المنفى، ومواقف الإمام وبياناته التي أدت إلى قيام الثورة الإسلامية.

في حين تهتم المجلدات من التاسع إلى الحادي والعشرين بتحليل الوثائق المتعلقة بمواضيع مثل: (الإمام، الشخصيات، المجموعات السياسية والاجتماعية، أقارب الإمام والمنسوبين إليه وعائلة الإمام)، و(الإمام والشعب)، و(الإمام ونظام الشاه) و(الإمام، الحكومات والمسائل العالمية).

وهذه المقالة تتناول بعض هذه الوثائق مع تقييم وشرح مختصر لما جاء فيها.

إنّ ظاهرة (الثورة الإسلامية) ومؤسس نظام الجمهورية الإسلامية، هي ظاهرة مهمة جداً تستحق البحث والدراسة لسنوات وأجيال عديدة، مما يساعد على بقائها وديمومتها.

---

(١) ١٥خرداد: في سنة١٣٤٢ش.ق، ١٣٨٣هـ.ق، [١٩٦٣م]، قام أزلام الشاه باعتقال الإمام قُدِّسَ سِرُّهُ وعدد من العلماء مما أدى لقيام ثورة شعبية عارمة قادها العلماء في العديد من المدن الإيرانية، فاستشهد الآلاف من المواطنين الذين رفعوا شعار إما الموت أو الخميني.

(٢) الإنتفاضة التي اندلعت إثر الإهانة التي وجهها كاتب باسم مستعار في صحيفة (اطلاعات) للإمام الخميني تحت عنوان (إيران والإستعمار الأحمر والأسود).

وبلا شك لا نبالغ إذا ما قلنا أن قيام هذه الظاهرة المحيّرة المليئة بالخير والبركة، يعود إلى شخصية الإمام الخميني قدس سره، بل أن مقتضى الإنصاف والوقائع غير القابلة للإنكار تؤكد أن ما حصل حتى الآن من بركات وخيرات وما يحصل منها وما سيحصل، كلها من بركات آثاره الوجودية.

إذن، لمعرفة (الثورة) و(الجمهورية الإسلامية) بشكل صحيح وأدق، ينبغي علينا دراسة أبعاد وجوانب شخصية مؤسسهما وقائدهما، حتى نتمكن من تحليل حياته السياسية والجهادية - على ضوء الوثائق والمستندات الموجودة - ثم نقدم نتيجة هذه الدراسة إلى القراء والباحثين؛ لأن الباحث سيتمكن من خلال هذه الوثائق التعرف على تفاصيل شخصية قائد الثورة الإسلامية، وبالتالي تقديم تحليل أفضل للأحداث والتغيرات التي وقعت في فترة الثورة الإسلامية.

فمثلاً، إذا ما تساءل المحقق، كيف لشخص مثل الإمام كمرجع تقليد وقائد إسلامي، أن يهاجر إلى دار الكفر - باريس - ويقيم فيها؟ أو يتساءل، كيف لقائد فقيه له نظريات وآراء وينتمي إلى مذهب فقهي واضح، أن يصرح ويؤكد على نوعية النظام (جمهورية إسلامية) لا تنقص كلمة ولا تزيد؟ وغيرها من أمثال هذه الأسئلة، فإذا ما أردنا الإجابة بشكل تحليلي وإقناعي، فإن ذلك يستلزم وقتاً طويلاً؛ لأنه يتطلب دراسة وتحليل أبعاد وجوانب شخصية الإمام الخميني ومراحل جهاده، بل دراسة جميع مراحل حياته.

لكن كتاب (سير مبارزات إمام خميني در آينه اسناد به روايت ساواك)

بمجلداته الإثنين والعشرين، يقرّب المحقق الطالب للحقيقة أكثر من الوصول إلى الواقع. إذ تمّت طباعة ونشر هذه المجموعة القيمة بهمة وجهود (مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره) في ربيع سنة (٢٠٠٧م).

الآن، وبعد تقديم الشكر إلى المؤلفين والمساهمين في تأليف وكتابة هذه المجموعة التاريخية والثقافية والسياسية القيمة، وعرضها على الباحثين والمهتمين بهذه المواضيع، نقدم تقريراً مختصراً عن محتويات هذا الكتاب. وقبل البدء بهذا التقرير، من المناسب أن نذكّر القراء ببعض النقاط المهمة:

١ـ ضرورة تدوين وتنظيم الوثائق والمستندات.

إنّ اهتمام المرحوم السيد أحمد الخميني (نجل الإمام قدس سره) بوثائق السافاك التي تختص بجهاد الإمام، دفعه إلى أن يوجّه رسالة إلى سماحة الإمام ـ مؤسس الجمهورية الإسلامية ـ ينبهه فيها عن عدم الدقة الموجودة في انتشار هذه الوثائق، إضافة إلى عدم انسجامها، ولهذا يطلب من سماحة الإمام تعيين شخص يتولى مسؤولية تنظيم هذه الوثائق والمؤلفات الخاصة به.

جاء في رسالته:

«المسألة الأخرى... إن ملفات السافات الخاصة بسماحتكم، والموجودة الآن لدى وزارة الأمن، ونسخة منها موجودة عندي أيضاً، رأيت من الضروري أن أطلعكم أن هذه الملفات الخاصة بسماحتكم، والتي كانت موجودة في مديرية أمن الشاه في طهران، تبلغ لوحدها

ثمان وأربعين مجلداً، وكل مجلد منها يحتوي على خمسمائة صفحة، لذا فإن نشرها سيؤدي بلا شك إلى إزاحة الستار عن الكثير من المسائل، كما أنها تعد واحدة من أنْفَسِ الوثائق الخاصة بالثورة الإسلامية».

فأجابه الإمام:

«بما أني أعتبرك ولله الحمد صاحب رأي وفكر في المسائل السياسية والاجتماعية، وكنت ولازلت تقف إلى جانبي في جميع المواقف والأحداث، تتولى مسؤولية إدارة أموري السياسية والاجتماعية بصدق وكياسة، لذا أنتخبك لتولي مسؤولية تنظيم وتدوين جميع المسائل الخاصة بي، لمنع حدوث الاختلاف والاشتباه فيها عند عرضها في وسائل الإعلام».

ونتيجة لهذا التعيين والأمر بتولي هذه المسؤولية، تم تأسيس (مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني) بشكل رسمي، ومنذ ذلك الوقت وحتى الآن، قامت المؤسسة بالكثير من الوظائف المهمة، منها تنظيم هذه الوثائق. وبالطبع بقي الكثير من المهام الأخرى التي تزيد مسؤولية هذه المؤسسة أضعافاً.

٢ـ إنّ مصدر وثائق هذه المجموعة، يعود إلى الوثائق التي جمعها السافاك في ملف الإمام الخميني قدس سره تحت أرقام (٦٧٩٠٨ و ٥٧٥٦)، وذلك خلال الفترة بين سنة (١٩٥٧م) حتى انتصار الثورة الإسلامية سنة (١٩٧٩م).

٣ـ كيفية تصنيف هذه الوثائق.

إنّ كثرة الوثائق الخاصة بالإمام الخميني قدس سره في السافاك، قد أدى إلى صعوبة وصول الباحثين والمحققين إلى الوثائق المطلوبة، لذا عمد المسؤولون على هذه المجموعة، إلى تنظيمها حسب مواضيعها ليتسنى للباحثين الوصول إلى الوثائق المطلوبة بسهولة، ثم تنظّم هذه الوثائق حسب تاريخ التقرير، وتاريخ الحدث، وتاريخ وصوله، مع رعاية تنظيمها وتصنيفها حسب المواضيع المطلوبة.

٤ـ خلاصة الوثائق.

لأجل تسهيل مهمة الباحثين والمحققين في الوصول إلى الوثائق المطلوبة، عمد المسؤولون عن هذه المجموعة، إلى إعداد نبذة وخلاصة عن الوثائق الخاصة بكل موضوع في بداية كل فصل تحت عنوان (خلاصة الوثائق) أو تحت عنوان (المدخل).

بعد التنبيه على النقاط السابقة، نقدم تقريراً عن مواضيع ومحاور كل مجلد، ثم ننقل بعض الوثائق أو نشير إلى بعض النقاط المهمة فيها، بعد مطالعتها والتدقيق فيها.

عناوين المجلد الأول:

١ـ الفترة التي تسبق مرسوم تأسيس إتحاد الولايات والمحافظات[1].

---

(١) البنود التي اعترض عليها العلماء في المرسوم عبارة عن:
١ـ إلغاء شرط الإسلام عن المرشح والناخب.
٢ـ أن يكون قسم النائب بأي كتاب سماوي ولا يشترط أن يكون بالقرآن.
٣ـ السماح للمرأة بالمشاركة ترشيحاً وتصويتاً، وهي بنود تخالف الدستور الإيراني.

٢ـ إتحاد الولايات والمحافظات.

٣ـ الإستفتاء الصوري للشاه (السادس من بهمن ١٣٤١ـ١٩٦٢م).

٤ـ نوروز عام (١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م) وفاجعة المدرسة الفيضية.

٥ـ عاشوراء عام (١٣٨٣هـ.ق) وانعكاساتها.

إن الوثيقة الأولى في المجلد الأول بتاريخ (١٣٣٥/١٢/٢٢هـ.ش ١٩٥٦م)، تتضمن تقريراً عن وضع الحوزة العلمية في قم، وتصرح بأن الرئاسة العليا للحوزة بيد آية الله البروجردي قدس سره.

إن هذا التقرير يتحدث أيضاً عن الوضع الدراسي والمعاشي للطلاب، الذي يقدر عددهم بأكثر من خمسة آلاف طالب؛ كما يذكر المراجع والمدرسين، ومسؤولي الدرجة الثانية في الحوزة العلمية في قم، ويشرح أوضاعهم الدراسية.

النقطة المهمة في هذا التقرير أنه يقدر عدد الطلاب عند سائر المراجع العظام (غير السيد البرجردي) بما لا يزيد عن ثلاثمائة طالب، في حين يذكر عدد أن طلاب الإمام الخميني حدود الخمسمائة طالب، ويذكر بجانبها ملاحظة (وهذا مهم بالنسبة للدرس).

النقطة المهمة الأخرى أيضاً هي: أنّ هذه الوثيقة تذكر الإمام الخميني كأحد المدرسين الثلاثة (يهتمون بالجانب الاجتماعي أيضاً)، والأهم أنها تذكر عبارة: (إنّ أغلب العلماء والمدرسين يعارضون الشيوعية لكنهم أيضاً لا يؤيدون نظام الحكم في البلاد).

وجاء في الصفحة (٥٨) من هذا المجلد، رسالة بتاريخ (١٣٤٠/١١/٢٠هـ.ش ـ١٩٦١م) كتبها آية الله السبحاني إلى أستاذه الإمام

الخميني؛ وذلك أثناء فترة تبليغه في شهر رمضان في مدينة كرمان، يذكر فيها استفتاءاً عن المعادن على سطح الأرض، الموجودة بكثرة في كرمان، ثم يتطرق إلى مسألة النفط، ويتساءل أنه لماذا لا يعطى المسلمون خمسه، ثم يطلب من الإمام أن يجد الفرصة في شهر رمضان لمطالعة رسالة لا ضرر ـ بقلم التلميذ ـ لتصحيحها وتدوين بعض الملاحظات عليها.

الوثيقة الأخرى في هذا المجلد هي (الإمام الخميني وخطر إسرائيل) التي وقعت فيما بعد بيد السافاك، وترتبط بعلاقة نظام الشاه مع إسرائيل:

المرحوم آية الله الشيخ حسين اللنكراني، في تاريخ (١٣٤٨/١/٢٦هـ.ش ١٩٦٩م) وفي جلسة أقيمت في منزل محمد حسن الطاهري الأصفهاني، بحضور السيد محمد رضا سعيدي[1] والشيخ حسين الكاشاني، تحدث حول موضوع علاقته السابقة بالإمام الخميني، فقال: كان (الإمام) الخميني متواجداً في كرج فترة من الزمن، وكنت خلالها أراجعه كل يوم، وعندما أرادت إيران الإعتراف رسمياً بإسرائيل، غضب المرحوم المرجع الحاج حسين البروجردي كما غضب عامة الشعب أيضاً.

كان (الإمام) الخميني في كرج آنذاك، فصار القرار أنه؛ أنا أذهب إلى طهران للبدأ بالثورة، وأن يرسل الإمام الخميني شخصاً إلى السيد

---

(١) الشهيد آية الله سعيدي (١٣٠٨ـ ١٣٤٩هـ.ش) من أنصار الإمام السابقين تعرض للإعتقال عدة مرات واستشهد في الجن بعد ٩ أيام من اعتقاله.

البروجردي لطلب المساعدة منه، ولهذا أرسل ـ (الإمام) الخميني ـ المجتهدي التبريزي إلى قم لإطلاع السيد البروجردي، وعندما عاد المجتهدي أبلغه أن السيد البروجردي كان غاضباً جداً من الاعتراف باليهود، وهو أشد غلياناً منا، لكن في عصر نفس ذلك اليوم التقى به أحد الأشخاص من طهران، فتغيّر بعدها موقف السيد البروجردي، وقال لن أتدخل في هذا الأمر. فتأثر (الإمام) الخميني جداً ومَرضَ على أثرها لعدة أيام، حتى أن الأطباء قالوا إنه تعرض لصدمة شديدة!

رسالتان من الإمام إلى الشاه:

على رغم علم الإمام الخميني قدس سره وتأكده من شخصيّة الشاه المنحطة وتبعيته هو وأركان حكومته، فإنه سعى إلى تنفيذ طموحاته السياسية ـ الإجتماعية وفق خطة مدروسة ومنظمة على ضوء عملية معقولة ومنطقية، إذ كان في البداية، ينصح أعضاء الحكومة ويدعوهم إلى الإصلاح، وينبههم على ضرورة إصلاح سلوكهم الخاطئ لأنه من صلاح البلاد والشعب. وعندما رأى عدم فائدة مساعيه الإصلاحية، بدأ بإعداد الشعب للنهضة والثورة والسعي لإسقاط الحكومة البهلوية الفاسدة، وقد تمكن الإمام باستقامته وشجاعته وبصيرته الواسعة، أن ينفذ جميع مطالبه الضرورية على أحسن وجه وفي كافة المراحل.

عندما رد الشاه بشكل مهين على رسالة الإمام الأولى، وادعى كذباً أنه (كان يسعى دائماً لحفظ الشعائر الدينية أكثر من أي أحد آخر) كما أرسل برقية الإمام إلى الحكومة وذيلّها بعبارة «أرجو لكم التوفيق في نشر القوانين الإسلامية وهداية العوام».

أرسل الإمام رسالته الثانية بعيداً عن الإنفعال، ودون أن يتراجع ذرة واحدة عن موقفه، فكتب إليه بشهامة وشجاعة عجيبة: «بالطبع إن وظيفة رجل الدين هي الإرشاد وهداية الشعب، لكن مع الأسف وعلى رغم أنه قد نبهت السيد أسد الله علم* على هذه البدعة التي يريد إيجادها في الإسلام، وأطلعته على مفاسدها، فإنه لم يذعن لأمر الله القهار، ولم يلتزم بالدستور ولا قانون المجلس، ولم يطع الأمر الملكي، ولم يهتم بنصيحة علماء الإسلام..».

وفي نهاية هذه الرسالة، قام الإمام بتهديد الشاه بصراحة، قائلاً:

«إنّ شعبنا المسلم يتوقع أن تأمروا بشدة السيد علم وتجبروه على إطاعة قانون الإسلام والدستور، وأن يستغفر الله عن الجسارة التي ارتكبها بحق القرآن الكريم، وإلاّ سأضطر إلى كتابة رسالة طويلة أذكركم فيها بمواضيع أخرى».

النقطة المهمة والدقيقة، نجدها في القسم الأخير من الرسالة والدعاء الذي كتبه في نهايتها وكأن الإمام يرى ما سيحدث بعد الخمسة عشر عاماً:

«أسأل الله تعالى الإستقلال لجميع البلاد الإسلامية وحفظها من الفوضى والثورة».

أما محورية الإمام منذ بداية النهضة، فقد جاءت في (ج١، ص ٩٨): في صباح هذا اليوم أرسل الشيخ الفلسفي[1] برقية إلى آية الله

---

* رئيس الوزراء.

(١) الخطيب المشهور سماحة الشيخ محمد تقي فلسفي رحمه الله.

الخميني في قم يسأل فيها: عقدنا منذ عدة ليال إجتماعاً في مسجد الحاج عزيز الله، فهل نستمر في عقد هذا الإجتماع أم لا[١]؟

إنّ معلومات الإمام الواسعة ولغته المعاصرة، قد منحته بصيرة واسعة ورأياً نافذاً في مجال العلوم العقلية والنقلية، وبالإضافة إلى ذلك إطلاعه وإشرافه على زوايا وخفايا الأمور السياسية الإجتماعية سواء الداخلية منها أو الدولية. والشاهد على هذا الكلام، هذه المقاطع من رده على سؤال التجار وأصحاب الحرف من أهالي مدينة قم المقدسة حول تصريحات السيد عَلَم في موضوع التصويت على مرسوم إتحاد الولايات والمحافظات.

فكتب سماحته:

«... إنّ تفسيره لهذا المرسوم، فاقد لأي اعتبار قانوني.. وإني لأتعجب كيف يتحمل السادة الوزراء هذه المسؤولية القانونية الكبيرة، ولا يقدموا على إعادة النظر به، ولا يريدون الوقوف بشموخ أمام الشعوب المتحضرة وأمام شعبهم، والخضوع أمام الدين والقانون.

إنّ إعادة النظر بهذا المرسوم والإذعان لرأي الدين والقانون، هو دليل على الشهامة والتحضر، ويوافق القوانين الدولية، أما الإلتفاف على القانون ومخالفة إرادة الشعب فهي عادات القرون الوسطى وبعيدة عن الأدب والأخلاق، ومن الأفضل لوزراء دولة عريقة أن لا يوصفوا بمثل هذه الأوصاف، وأن لا يقوموا بفعل يكون دليلاً على تخلف شعبهم وعدم تطوره، وذلك من خلال قيامهم بعمل يخالف الدين والقوانين.

---

(١) المقصود بها الإجتماعات التي عقدت احتجاجاً على الحكومة.

إنّ المنع الشديد للصحف من نشر أخبار هذه النهضة الوطنية والقانونية الكبيرة يعد أمراً نادراً قل حدوثه، بحيث ينهض شعب بكامله للدفاع عن دينه ودستوره، ويتفق على هذا العمل في جميع مدن البلاد.

وهو عمل مشين لحكومة تدعي التحضر، بحيث أصبحنا نشعر بالخجل والإهانة بين وكالات الأنباء والسفارات الأجنبية، ونحن نبرئ الشعب الإيراني من مثل هذه الأعمال القرون الوسطائية، ونلقي جميع الذنب على عدد معدود من الأفراد المغرورين أو الواقعين تحت التهديد. إذ أن الشرفاء يحترمون دينهم ودستورهم، ويتجنبون القيام بأعمال تجلب المخاطر للشعب ولاستقلال البلاد».

في البند الخامس من هذا الجواب حول رأي علم، نقرأ:

«كتبوا أن هذا الموضوع عرفي! فإذا كان القصد أنه لا يرتبط بحكم الشرع فهو أمر عجيب جداً، لأن جميع المواضيع العرفية لها حكم في الشرع، وهؤلاء السادة جاهلون بقوانين الإسلام وبالحقوق الإسلامية. فعليكم أن تسألوا علماء الإسلام عن حكم هذا الموضوع العرفي..».

ويصرح الإمام في البند السادس:

«يجب أن نقول لرئيس الوزراء، لا يمكن لأي مجلس أو أي مسؤول (أي حتى الشاه) أن يقر قانوناً يخالف الإسلام والمذهب الجعفري، فارجعوا إلى الأصل الثاني الملحق بالدستور. والحمد لله، إنّ الشعب المسلم وعلماء الإسلام مازالوا يقظين وواعين وعلى استعداد لقطع كل يد خائنة تمتد للنيل من الإسلام وأعراض المسلمين».

إنّ هذه الرسالة تمتلئ بالمنطق القوي الذي يحمله الإمام وبمعلوماته ولغته المعاصرة، ومن الواضح أن قيمة وأهمية هذه اللغة تتضح إذا ما عدنا خمسين سنة إلى الماضي، وقارنا هذه الرؤية وهذا الأسلوب مع الأساليب الأخرى، ومع مستوى وعمق تفكير العظماء الآخرين وبقية أفراد وطبقات المجتمع.

الإمام، قائد النهضة

في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/٢/٧ هـ.ش ١٩٦٣م) ، نقرأ:

إنّ مواقف آية الله الخميني المعارضة في الأشهر الأخيرة، وتصديه لمعارضة الإصلاحات التي قام بها (حضرة الأعلى همايوني)[١] والحكومة، قد أدى إلى تمركز الشخصيات البارزة من رجال الدين حوله، وبسبب هذه المركزية أصبحت الحوزات العلمية، الدينية خارج إيران تعتبره أبرز الشخصيات الدينية في إيران، وأوضح دليل على هذا البروز هو برقية التعزية التي أرسلها له آية الله الحكيم بعد الأحداث الأخيرة..

كان هذا بروزاً محيراً لشخصية الإمام الخميني خاصة بعد المساعي الشيطانية لحكومة بهلوي في عزل وإهمال الحوزة العلمية في قم وعظمائها، خاصة الإمام الخميني؛ (من كان لله كان الله له).

أما التفاوت بين شخصية الإمام والآخرين، فقد جاء في (ج١، ص ٢٩١)، حيث أصدر أحد الأعاظم بياناً حول حادثة مدرسة الفيضية[٢]، ومن جملة ما جاء فيها:

---

(١) لقب من ألقاب الشاه.

(٢) الهجوم الوحشي من قبل الشاه على طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية عندما كانوا يحضرون مجلس وفاة الإمام الصادق عليه السلام.

«... إنّ الفاجعة المؤلمة التي حدثت في مدرسة الفيضية في قم، نتيجة للإعتداءات الوحشية التي قام بها عدد من رجال الأمن ضد طلاب العلوم الدينية و...».

من الواضح أن هذه النظرة للقضايا والمسائل، تقلل من أهمية المسألة وتنسب هذه الفاجعة العظيمة والخيانة التاريخية إلى (عدد من رجال الأمن)، وبالتالي تبرئ الآمرين والسلاطين المجرمين!. وفي مقابل هذه المجموعة، كان الإمام الخميني قدس سره بشجاعته النادرة وبصيرته الإلهية، يتهم النظام وقادته بهذا الجرم، ويقول: «إنّ المشكلة الكبيرة تكمن في أننا عندما نراجع أي مسؤول، يقول: إنّ هذه كانت بأمر (حضرة الأعلى) ولم يكن بيدنا حيلة، كلهم من رئيس الوزراء إلى قائد الشرطة وقائم مقام قم، يقولون أن هذا بأمر من حضرة الأعلى».

يقولون: «إن جرائم مدرسة الفيضية كانت بأمره.. فإن كان هذا صحيحاً، فعلينا أن نقرأ الفاتحة على الإسلام وإيران والقوانين، وإن لم يكن صحيحاً وأنهم كانوا ينسبون هذه الجرائم ومخالفة القوانين والأعمال غير الإنسانية إلى الشاه كذباً، إذن لماذا لا يدافع عن نفسه، حتى يتخذ الشعب موقفه من الحكومة، ويحاسبها في الوقت المناسب بجزاء أعمالها؟! لقد نبهت مراراً أن هذه الحكومة تحمل نيّة سيئة وتخالف أحكام الإسلام.. وأنا لا أعلم، هل جميع هذه الجرائم والجنايات تحدث لأجل نفط قم، وعلى الحوزة العلمية أن تدفع الثمن؟ أم لأجل إسرائيل ويعتبروننا معارضين لعقد اتفاقية التعاون مع إسرائيل ضد الدول الإسلامية...».

عناوين المجلد الثاني والثالث:

١ـ إعتقال الإمام، ونهضة (١٥ خرداد ١٣٤٢هـ.ش).

٢ـ الإمام في السجن.

٣ـ مؤامرة نفي الإمام.

٤ـ فترة الإقامة الجبرية.

٥ـ إطلاق سراح الإمام وانعكاساته.

بعد انتفاضة (١٥ خرداد) والجرائم والإعتداءات الوحشية التي ارتكبها نظام الشاه ضد أفراد الشعب، وموقف الإمام الشديد من هذه الأحداث الذي انتهى إلى اعتقاله وسجنه، قد أدّى إلى موجة غضب شعبية وعلمائية واسعة جداً، بحيث ذكرت الوثائق بعض ردود الأفعال هذه، ومنها:

أصدر المرحوم آية الله المرعشي النجفي[1] بياناً شديد اللهجة، ذكر فيه:

«نحن نصرخ اليوم (هل من ناصر ينصرنا) وسنبقى إلى آخر لحظة على الصراط القويم، إن دمائنا ليست أفضل من دم أخينا العزيز سماحة آية الله العظمى السيد الخميني، ولن نتراجع عن مواقفنا ما لم يعيدوه إلينا صحيحاً سالماً. وسنبقى ندافع عن حريم الإسلام والقرآن حتى آخر لحظة من دمائنا» (ج٢، ص ٣٤).

---

(١) أحد المراجع الكبار في قم توفي ١٤١٠هـ.

لكن مع الأسف يوصي السيد شريعتمداري أحد مريديه في تبريز أثناء مكالمة هاتفية معه، بالتالي:

«أدعو الناس إلى الهدوء، وأن يتجنبوا بشدة المظاهرات؛ لأن المظاهرات لن تؤدي إلى أي ثمرة... فلا يمكن للأرواح أن تقف بوجه الرصاص... واسعوا إلى عدم إهانة (حضرة الأعلى) أو التقليل من شأنه.

أرجو أن لا تعارضوا (الشاهنشاه) أو تثيروا غضبه، لقد قلت للخميني أن لا يتصرف مع الشاه بهذا الشكل، ولا يتحدث بما يخالف الحكومة والسياسة، لكن لم يصغ لكلامي حتى وقع فيما هو فيه! إضافة لذلك هيّئوا طوماراً لتأييدي!» (ج٢ ص ٤٤).

وفي (ج ٢ ص ٢١٢)، جاء في وثيقة نقلاً عن الفريق خلعتبري مسؤول التحقيق مع الإمام في السجن:

«لم أر أبداً رجلاً بهذه القوة والقدرة، فهذا الشخص يصرح عَلَناً إستعداده للموت، ويلتزم الصمت أثناء استجوابه».

إنّ سكوت الإمام الخميني قدس سره والتزامه الصمت أثناء استجوابه وعدم الإجابة على أسئلتهم، كان أمراً مهماً ومثيراً بحيث نجد حوله تقريراً مفصلاً في الصفحة (٢٣٢) من نفس المجلد، يتحدث عن ظروف الإمام في السجن:

لقد تم استجواب الشخص المذكور، لكنه امتنع في كلا الإستجوابين عن الإجابة على الأسئلة المطروحة عليه، وحيث قال في

الإستجواب الأول أنه يعتقد بعدم وجود استقلال للقضاء في إيران وأن القضاة المحترمين يتعرضون للضغط، لذا فإني لن أجيب على أسئلتكم.

وفي الإستجواب الثاني، كرر الشخص المذكور أقواله، مضيفاً: لقد استنبطت أنكم ستدينونني، لذا ما الفائدة من إجابتي على أسئلتكم، إضافة على ذلك إذا ما أقمتم محكمة لا يحضر فيها قضاة من وزارة العدل، فإني لن أحضر فيها، كما أني سأمتنع هنا عن الإجابة على أسئلتكم.

من الواضح أن سماع وقول مثل هذا الكلام أصبح كلاماً عادياً وعديم الضرر، لكن قوله بعزة وشجاعة مطلقة من قبل شخص واقع في قبضة حكومة ظالمة، يدل على الإيمان القوي والتقوى الشديدة التي كانت يتمتع بها الإمام:

وجاء في الصفحة (٢٤٢) من الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/٥/٧هـ.ش -١٩٦٣م): «إنّ (الإمام) الخميني إضافة إلى كونه لا يخشى النفي والسجن، قد أخبر اللواء باكروان واللواء عزيزي أنه غير مستعد أبداً للتعاون مع الحكومة إلاّ إذا ما أطلعوا الشعب على هذه الحادثة عن طريق الإذاعة أو الصحف، أي يسمحوا للشخص المذكور الإستفادة من الإذاعة والصحف، وهذا ما لا تسمح به الحكومة، لذا تقرر نفي الخميني والقمي إلى كرمان والمحلاتي إلى تبريز».

أما في تاريخ (١٣٤٢/٥/٦هـ.ش ـ ١٩٦٣م) أصدر جهاز السافاك (المركز) أمراً إلى السافاك في قم، ومنه إلى السافاك في سنندج: بعد

أن حددت اللجنة، مدينة سنندج مكاناً للنفي، لذا أصدروا أوامركم بعيين منزل للشخص المذكور من الآن، مع اتخاذ كافة التدابير الأمنية اللازمة. (ج٢ ص ٢٦٠). وفي تاريخ (١٣٤٢/٧/١٥هـ.ش ـ ١٩٦٣م) أعلن عن عدم تنفيذ هذه التدابير والتمهيدات بأمر من اللواء باكروان.

إن علم الإمام والسيد مصطفى[١] بمراقبة هاتف المنزل أثناء فترة إقامة الإمام الجبرية، أدى إلى أن يضطر جهاز الأمن في نظام الشاه لمراقبة الأفراد الذين يتصلون بالإمام، لكن الإمام كان أذكى من أن يترك أعمالهم الشيطانية تمر بلا جواب.

وذكر السافاك في تقريره المؤرخ بتاريخ (١٣٤٢/٦/٢هـ.ش):

إنّ ما نستنبطه من طبيعة المكالمات الهاتفية، أن السيد الخميني والسيد مصطفى يعلمان بموضوع مراقبة مكالماتهما الهاتفية، لأن كلامهما مختصر جداً، وتتم جميع اللقاءات خارج المنزل بواسطة السيد مصطفى. (ج٣٠، ص ٣٤٩).

الإهتمام بالوحدة الإسلامية، وهو الموضوع الذي تشير إليه الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٣/٦/٢٥هـ.ش ـ١٩٦٤م) ، حيث تبين اهتمام الإمام الخميني قدس سره بوحدة الشيعة والسنة: «لقد كان آية الله الخميني يصدر باستمرار أوامره إلى رجال الدين بأن يتجنبوا إهانة مقدسات أهل السنة، حتى يزيد ذلك من التقارب بين رجال الدين السنة والشيعة» (ج٣ ص ٤٤٢).

---

(١) نجل الإمام الخميني الأكبر.

عناوين المجلد الرابع:

١ـ إحياء معاهدة الحصانة القانونية[١] وانعكاساتها.

٢ـ نفي الإمام إلى تركيا.

٣ـ إنعكاس حدث نفي الإمام الخميني في داخل البلاد.

٤ـ إنعكاس حدث نفي الإمام الخميني قدس سره في خارج البلاد.

إستناداً إلى الوثيقة رقم (٥٢٢) المؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/٨/٤هـ.ش) تم تقدير عدد الحضور في منزل الإمام أثناء خطابه التاريخي حول موضوع الحصانة القانونية، بحدود(٦ آلاف) شخص، لكن في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٣/٨/١١هـ.ش ـ ١٩٦٤م) تم تقديره نقلاً عن أحد المعممين بأكثر من (١٠ آلاف) شخص.

لقد استخدم الإمام في جهاده الدرجات العالية من الحكمة والدراية والتدبير، وكان يتحرك في كل مرحلة بمقتضى العقل والتدبير، بحيث أنه بدأ مراحل جهاده من لقاءه مع الشاه وطرح النظريات ومطالب رجال الدين الواعيين والشعب الملتزم بتعاليم دينه، والتحرك بذكاء في جهاده خطوة بعد أخرى حتى وصل تدريجياً إلى مواجهةالحكومة ورئيس الوزراء عملاء الشاه، وفي المرحلة التالية وجه

---

(١) كابيتولاسيون: معاهدة تمنح الأمريكيين الحصانة القانونية في إيران، أي أنه لا يمكن لأي محكمة إيرانية أن تحاكم الأمريكي مهما كانت الجريمة التي ارتكبها.

وهذه المعاهدة معمول بها في أغلب البلدان التي أراضيها عسكريون أمريكيون.

خطابه مباشرةً إلى الشاه نفسه، وهاجمه على أعماله المخالفة للدين ومواقفه المخالفة للمصالح والمنافع الوطنية، ثم انتقل إلى مهاجمة السبب الأساس لجميع هذه المظالم والمفاسد ــ دولة الولايات المتحدة الأمريكية ـ واعتبرها أنها هي السبب في جميع هذه المصائب والويلات في نهاية الأمر، وبالطبع أدى هذا الهجوم الشديد إلى عواقب ومصاعب كبيرة. إذ عندما تم تصويب معاهدة (الحصانة القانونية) المذلة والمهينة لعزة وكرامة البلاد، تعدى الإمام في مهاجمته الشاه، فهاجم وبكل شجاعة أمريكا ورئيس جمهوريتها، مما دفعهم لاتخاذ أشد القرارات ضده، حيث قام الشاه بتنفيذ أوامر أسياده واعتقال الإمام ليلاً ونفيه بسرعة إلى تركيا، ظناً منه أنه تمكن من إبعاد الإمام عن شعبه.

ولم يمض أكثر من يومين من نفي الإمام إلى تركيا أي في تاريخ (٦ نوفمبر ١٩٦٤م) حتى كتب (استوارت راكول) الوزير المنسق في سفارة أمريكا، رسالة إلى جيمز ـ من المحتمل أنه أحد المسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية ـ يقول فيها: «وأخيراً تمكنا من التخلص من السلوك السيئ لهذا الرجل المسّن الذي كان يضع بكلامه العصا بين عجلاتنا». فقد أصدر هذا الأحمق المحلي (إشارة إلى الشاه) أمراً بإخراجه (ج٦، ص ١٤).

عناوين المجلد الخامس:

١ـ نفي الإمام إلى تركيا (الإمام في تركيا).

٢ـ نفي الإمام إلى العراق (إنعكاساته في الداخل؛ إنعكاساته في الخارج).

أفضلي ـ رجل الأمن المرافق للإمام في تركيا ـ يكتب إلى السافاك تقريراً بتاريخ (١٣٤٣/٨/١٦هـ.ش):

«برنامجه اليومي يقتصر غالباً على الإستراحة وتلاوة القرآن وإقامة الصلاة وتناول الغذاء وأحياناً كتابة بعض الكلمات التركية، لكن لا ينبغي تركه وحيداً» (ج٥، ص ١٠).

وقد سعى نظام الشاه بعد نفيه الإمام إلى قطع ارتباطه مع البلاد ومع الشعب الإيراني المؤمن، بحيث كان يمنع بشدة إيصال رسائل تلامذته وأنصاره إليه. فقد جاء في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٣/١٠/١هـ.ش):

«بعد طرد الخميني من البلاد، من الأصلح قطع ارتباطه كلياً مع مؤيديه، حتى ييأس الشخص المذكور من العودة إلى إيران ومتابعة نهجه السابق، ويضطروا للإنضمام إلى رجال الدين الآخرين في إيران للقيام بمسؤولياتهم الدينية».

ومن الرسائل الرائعة والمثيرة للإهتمام، الرسالة التي كتبها الشهيد سعيدي، وما أبدى فيها من إرادة خالصة للإمام، وهذه الرسالة موجودة في (المجلد الخامس ص ١٧٢ ـ ١٧٣) المؤرخة بتاريخ (٣٠ خرداد ١٣٤٤ـ ١٩٦٥م) حيث جاء في قسم منها: «مولاي، كأن علو همتكم منعتكم من الإكتفاء بالمقدار الذي تمثل به بقية نواب ولي الأمر عجل الله تعالى فرجه الشريف بإمامهم، وأردت أن تكون نموذجاً كاملاً له.

فقد انتفضتم بحق وغبتم غيبتين، لكني أتمنى أن تعملوا في الأمر الأخير عكس ما فعله ذلك الإمام العظيم، وتجعلوا غيبتكم

الأولى* الغيبة الكبرى ولا تدموا قلوب شيعتكم أكثر من هذا.

أقسم بالله الذي أظهر قدرته وخلق الخميني العزيز، أني مستعد لأن أقايض لحظة لقائك بقيمة حياتي، لكني أعلم أنه ثمن بخس..).

شكوى من العلماء:

إستناداً إلى الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٧/٧هـ.ش -١٩٦٥م) (المجلد الخامس، ص ١٩٩)، يتحدث الإمام مع أحد المسافرين إلى إيران، ويشتكي من وضع إيران ورجال الدين، خاصة السيد شريعتمداري، ويوصي: «على العلماء أن يقوموا بواجبهم مهما بلغت العواقب».

عدو أصبح سبباً للخير..

على رغم ظن عملاء نظام السافاك البهلوي، إن نفي الإمام إلى النجف الأشرف، لم يؤد إلى نسيانه؛ بل أدى إلى تثبيت مكانته المرجعية والعلمية والسياسية أفضل من السابق، بحيث إضافة إلى مساعيه العلمية والتدريسية في حوزة النجف القديمة الذائعة الصيت، وجذبه لاهتمام فضلاء هذه الحوزة، فإنه تمكن أيضاً من تأليف كتابه القيم (كتاب البيع) في خمس مجلدات، وتتلمذ على يده العديد من الفضلاء والمجتهدين.

وإضافة إلى هذه المساعي العلمية، ورغم الضغوط العلنية والخفية التي كان يمارسها عملاء النظام، فقد ازداد ارتباط الإمام

---

* المقصود بها فترة الاعتقال التي دامت.

بالشعب الإيراني يوماً بعد آخر، إلى درجة أن أحد أبناء آية الله الحكيم يذكر في رسالة إلى آية الله السيد محمود ضيابري ـ أحد رجال الدين المعروفين في مدينة رشت وأحد مريدي الإمام ـ حسب الوثيقة ـ المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٨/٢٠هـ.ش ـ١٩٦٥م):

«إذا كنتم تسألون عن أحوال آية الله الخميني فهو بخير وسلامة ورفاه، وقد وصل إلى آية الله الخميني مبلغ (٢٠٠) ألف تومان تقريباً من طهران وسائر مناطق إيران الأخرى.. فلا تشغلوا بالكم بأحواله، فإن الله سيحفظه»، (ج٥، ص ٢٣٢).

كذلك الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/١٠/٨هـ.ش ـ١٩٦٥م) تذكر بعض النقاط المهمة حول المكانة الإجتماعية للإمام، نقلاً عن أحد أبناء آية الله الشاه آبادي أستاذ الإمام في العرفان: «بذهاب آية الله الخميني إلى العراق، وجد الإيرانيون المقيمون في هذا البلد ملاذاً وسنداً كبيراً لهم... وكانت الحقوق التي تصل إلى آية الله الخميني من طهران أكثر من المبلغ الذي يصل إلى بقية العلماء، وكلما زادت السلطات الحاكمة من ضغوطها على آية الله الخميني ورفقائه، كلما زاد ذلك من مقدار نفوذه واعتباره بين أفراد الشعب.. فأصبح على رغم ميله الباطني، يدير القسم الأكبر من الأمور المالية في حوزة قم العلمية أيضاً» (ج٥، ص ٣ ـ ٢٣٢).

وفي الصفحات (٧ ـ ٤٣٥) من نفس المجلد، نجد رسالة من حجة الإسلام والمسلمين السيد سجاد ميانجي بتاريخ (١٠ رجب سنة ١٣٨٥ هـ.ق)، كتبت باللغة العربية وتحمل في كلماتها مشاعر جياشة وإرادة

مخلصة للإمام وكذلك السيد مصطفى، جاء فيها: «... يا مولاي إن الله ابتلاك كما ابتلى جميع الأنبياء والمرسلين ثم جعلهم خلفاء في أرضه كما اختارك بعد أن امتحنك نائباً عن وليه وحجته صاحب الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف...».

عناوين المجلد السادس:

١ـ استشهاد السيد مصطفى رحمه الله وانعكاساته.

٢ـ مقالة مهينة.

٣ـ إنتفاضة (١٩ دي) في قم.

٤ـ مراسم الأربعين المتالية والمظاهرات الثورية.

٥ـ هجرة الإمام من العراق إلى فرنسا.

٦ـ الإمام في المهجر حتى عودته إلى إيران.

ابتلاءات الإمام:

الإمام الخميني قدس سره الذي لُقبّ بصفة (مُحطِّم الأصنام) وكونه قد تولى قيادة الأمة الإسلامية، وهداية العباد المظلومين إلى الله، وأصبح في الواقع حجة باللغة إلهية للإنسان في زمانه ـ تعرض إلى ابتلاءات كثيرة قبل الوصول إلى مقام إمامة الأمة، تمثلت هذه الإبتلاءات بالسجن والإقامة الجبرية والنفي، فكانت له بمثابة منازل السلوك عند العرفاء، طواها واحدة بعد الأخرى، كالسالك العاشق للقاء الحق. ومن هذه الإبتلاءات تقديم السيد مصطفى فداء للحق، فكان هذا الفداء في أرض الغربة وأثناء النفي، شبيهاً (بذبح إسماعيل) خليل الحق.

فقد قدم أمل الإسلام في المستقبل إلى الله بتسليم بل ورضا كامل، معتبراً ذلك من ألطاف الله الخفية، وكأنه سمع بقلبه من يقول له: أن إحياء الإسلام ونجاة عباد الله من قيود الطواغيت يحتاج تقديم ابنكم مصطفى فداء له، لذلك لم تصدر ذرة من الشكوى والألم من قبله بعد الحادث. وبعد أن مرت عليه هذه المصيبة وانتهت وخرج من هذا المنزل بشموخ وعزة، نزلت البركات الإلهية عليه وعلى شعبه المضحي والمؤمن من كل جانب، بحيث تمكن هذا الشعب العظيم في ظل ظروف من اليأس والخوف، القيام بمعجزة كبرى وتحقيق النصر في ثورته الإسلامية، رغم حالة الغرور التي كانت يعيشها نظام الشاه لما يملكه من رجال مدججين بالسلاح قاموا بأقسى الأعمال الوحشية بحق الشعب وإراقة دمائهم، حتى أطمأن هو وأسياده ببقاء جزيرتهم الآمنة، لكن قدرة مقلب القلوب منحت الشعب الإيراني إيماناً وعزيمة مكنتهم من القيام بالثورة الإسلامية، واستقبال روح الله بعد سنوات النفي. ولأهمية هذه الحادثة في مسيرة نهضة الإمام والثورة الإسلامية، نشير إلى بعض الوثائق المذكورة حولها: الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٤ /٨/١٣٣٦- ١٩٥٧م) تذكر نقلاً عن قول الحاج أبي الفضل فيض أحد أفراد حاشية السيد شريعمتداري: «لقد قلقت كثيراً من كثرة مجالس الفاتحة التي أقامها رجال الدين والآيات وكذلك التجار على روح السيد مصطفى، فقلت: إذا كان مؤيدو الخميني والمقربون له قد أقاموا مثل هذه الدعاية والتبليغ له، فلا أدري ماذا يفعل سائر المراجع في المستقبل..» ؟

إنّ كل ما قمنا به حتى الآن (يقصد المؤيدون لشريعتمداري) كان يسير منذ البداية طبق برنامج صحيح، لكنه انهار الآن وفشل تماماً، إذ تأثر طلاب العلوم الدينية المؤيدين لشريعتمداري وأصابهم الملل، وأصبحوا يبحثون عن حجة للتبليغ إلى شخص آخر..) (ج٦، ص ٥٤).

وفي الصفحة ٨٤ من نفس المجلد، نقرأ ما قاله صدر الدين الحائري أثناء حديثة مع أحد أصدقائه:

«تحدث آية الله الخميني هاتفياً مع السيد عبد الحسين دستغيب[1] شاكراً إياه على إقامة مجالس الفاتحة، كما قال له، لقد ربيت ولدي بشكل يمكنه أن يشغل مكاني بعدي، وكان لائقاً تماماً لهذا الأمر، لكنهم قتلوه».

النقطة المهمة والدقيقة في هذه الوثيقة، هي ما نقل عن الإمام أنه قال (قتلوه) وهو دليل على استشهاد ذلك الفقيد السعيد.

أما وصية الإمام باتحاد الحوزة والجامعة، فقد جاءت في عدد من الوثائق كالوثيقة الموجودة في الصفحة (١١٤)، والتي تتضمن الخطاب المعروف في (١٠ آبان سنة ١٣٥٦هـ.ش ـ١٩٧٧م) الذي ألقاه الإمام في أول درس له بعد استشهاد السيد مصطفى، حيث تحدث في هذا الخطاب حول مسألة (الفصل بين الشباب المتدين المثقف ورجال الدين) وكان له انعكاس واسع في البلاد.

أن مكر العدو، والنصر الإلهي طيلة فترة الجهاد، وإيمان الإمام

---

(١) شهيد المحراب آية الله السيد دستغيب كان له الدور الأبرز في أحداث الثورة في مدينة شيراز اغتاله المنافقون وهو ذاهب لإقامة الجمعة.

الخميني قدس سره وثباته كانت من العوامل التي أدت إلى ظهور الإمداد الغيبي وتحقيق الإنتصارات الإلهية.

بعد حادثة استشهاد نجل الإمام (السيد مصطفى)، سعى نظام الشاه إلى إيجاد بعض الإنفتاح السياسي، لكنه لاحظ ازدياد ارتباط الشعب بالإمام وازدياد حبهم له.

لهذا أقدم هذا النظام على عمل قذر وقبيح للتقليل من شأن الإمام ومكانته في قلوب الناس، فأمر بنشر مقالة مهينة عن الإمام في صحيفة (إطلاعات)، لكن ومن باب ﴿ وَمَكَرُواْ وَمَكَرَ ٱللَّهُ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴾[1].

فقد فشلت هذه الأعمال غير الإنسانية بسبب إيمان واستقامة الشعب الإيراني؛ بل وأدت إلى إيقاد شعلة الثورة الإسلامية في إيران.

اختصت الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٢٠ /١٠/١٣٥٦) بتعطيل الحوزة والأسواق في يوم الأحد (١٨ دي) ومظاهرات الطلاب اعتراضاً على تلك المقالة المهينة، وتشير إلى دور السيد صادق الروحاني والشيخ محمد اليزدي. وتتحدث وثيقة أخرى في التاريخ نفسه عن تجمع بعض الطلاب في بيت آية الله العظمى الشيخ هاشم الآملي وبيت العلاّمة الطباطبائي اعتراضاً على المقالة، وقد جاء فيها:

«السادة أيضاً أدانوا نشر هذه المقالة، بعد هذا التجمع والخطاب الشديد اللهجة للشيخ محمد اليزدي، ذهب الطلاب إلى مدرسة أميرالمؤمنين، خطب فيهم الشيخ ناصر مكارم الشيرازي، ونقل لهم قول

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٥٤.

أحد المراجع: أنهم بهذا العمل لم يهينوا السيد الخميني لأن الجميع يعرفه، بل أهانوا المراجع الآخرين، لأنهم يعتبرونهم من أتباعهم ـ غيره ـ ثم ذهب الطلاب إلى منزل الشيخ وحيد الخراساني؛ الذي شبه الخميني في كلامه بالنور، الذي لا يمكن أن ينطفئ بمجرد وضع الشخص قدمه عليه...» (ج٦، ص ١٥٧).

ولم تؤثر هذه المقالة برجال الدين والمتدينين من أفراد الشعب؛ بل أدت إلى غضب أغلب أفراد الشعب، حتى بعض العسكريين المحسوبين على أتباع النظام البهلوي، أبدوا امتعاضهم واعتراضهم الشديد على هذه المقالة.

في الصفة (١٨٣) المجلد السادس، نقرأ قسماً من رسالة العقيد المتقاعد عزيز الله رحيمي إلى مدير صحيفة إطلاعات، يقول فيها:

«... إن سماحة آية الله العظمى الخميني ليس مرجع تقليد للشيعة في العالم فحسب؛ بل هو شخصية إسلامية عظيمة، لن ينسى التاريخ أبداً مواقفه وتضحياته في سبيل تحرير وطنه.

إني على يقين أن يد الشعب الإيراني سترد بقوة على مدير هذه الأوراق الممزقة الحقيرة، ولن تنسى أبدا خيانة مدير هذه الصحيفة».

ذلة التبعية للأجانب:

أثناء أحداث الهجرة التاريخية والمصيرية للإمام الخميني إلى فرنسا، بعد أن قرر الإمام في البداية السفر إلى دولة الكويت، تبين الوثيقة التالية شدة تبعية الحكومات غير الشعبية بالأجانب.

«... إن سفير الشاهنشاه[١] (آريا مهر)[٢] في الكويت هو الذي أبلغ سفير دولة الكويت في البلاط الملكي والذي كان موجوداً في الكويت في تلك الفترة، بقصد الخميني، السفر إلى دولتهم، فقام سفير الكويت بإبلاغ إبنة أمير الكويت بالخبر، وبعد فترة قصيرة أبلغ سفير الشاهنشاه آريا مهر، أن أمير الكويت أظهر عدم علمه بوصول الخميني، فأمر المسؤولين بمنع الخميني من الدخول إلى الكويت» (ج٦، ص ٤٣٤).

سرية المقصد التالي للإمام:

بعد ممانعة حكومة الكويت من دخول الإمام إلى أراضيها، إختار الإمام باريس لتكون مقصده التالي، وقد أدى هذا القرار إلى اضطراب وتخبط جميع رجال الأمن والإستخبارات في النظام البهلوي، لأنهم كانوا يحتملون ذهاب الإمام إلى أي نقطة في العالم إلاّ باريس، وكان أكثر حدسهم هو هجرة الإمام إلى سوريا، ولم يشر إلى ذلك سوى تقرير السافاك في آبادان:

«... إنّ الخميني يفكر في السفر إلى إحدى الدول الأوروبية والإقامة فيها» (ج٦، ص ٤١٣).

وأثناء إقامة الإمام في باريس، كان هناك اتصال بين السافاك وجهاز الإستخبارات الفرنسي. كما تشير إلى ذلك الوثائق، حيث تشير الوثيقة رقم (٧٦٥٥/ ٣١٢ ـ ١٣٥٧/٧/١٥) إلى المطالب الإستخباراتية

---

(١) ملك الملوك.

(٢) من ألقاب الشاه وهو نسبة إلى قوم آريا.

للسافاك من ممثلية السافاك وفرعها في فرنسا، وقد تم نقل الجواب عن طريق أحد الموظفين الفرنسيين في دائرة ضد التجسس، حيث تذكر الوثيقة (٢٩/ ٥٥/٧ تقريراً يشير إلى أن أحد المسؤولين الأمنيين الفرنسيين إسمه (كنت) كان موجوداً في إيران في تلك الفترة، وذكر أن إحدى احتياجات السافاك، هي جمع المعلومات عن المحيطين بالإمام.

وطبقاً للوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٩٧٨/٧/٢٧م)، تم إرسال معلومات جديدة من قبل جهاز الإستخبارات الفرنسي إلى جهاز السافاك. (ج٦، ص ٤٩٥).

اللقاءات الصحفية القوية والمتحضرة:

أول لقاء صحفي للإمام كان مع صحيفة الفيغارو الفرنسية، نشرت بتاريخ (١٨ أكتوبر ١٩٧٨)، وكانت هي البداية للقائه مع الصحف ووكالات الأنباء الأخرى.

وقد صرح الإمام في ذلك اللقاء أن الإسلام يدعو إلى التطور والرقّي، وأعلن فيه عن معارضته للنظام الملكي، وأطلق على النظام البديل له إسم (الجمهورية الإسلامية).

وبالطبع، كانت تلك نقطة عطف في جهاد الإمام، حيث أن الهدف الذي أعلن عنه في النجف تحت عنوان (الحكومة الإسلامية)، قد أنجز خطوة متقدمة منه، وخطط لعمليات تنفيذه في باريس، بالشكل الذي يمكن تحقيقه في هذا العصر والزمان فأطلق عليه اسم (الجمهورية الإسلامية).

ولابد من القول: أن النقطة المهمة في معرفة وتحليل شخصية الإمام الخميني قدس سره، هو وفاؤه الكامل لروح وحقيقة التراث (الديني)، فهو من جهة كان كاملاً في معرفة مقتضيات الزمان وعميقاً في معرفة مكنونات الإنسان، وبالتالي كان صوتاً معبراً عن ضمير شعبه المسلم، ومن جهة أخرى كان القائد الذي عمّق ارتباط شعبه بتعاليم الإسلام المحمدي الأصيل، ومن جهة ثالثة قام بتحريره من براثن النظام السلطوي القديم وغير المنطقي، ونقلهم إلى نظام جديد يمثل أحدث ما وصلت إليه البشرية في أنظمة إدارة المجتمعات البشرية ـ الأنظمة الديمقراطية والأنظمة الجمهورية، وهذا يعني أنجح ارتباط بين التراث والتجدد، الذي حصل ويحصل فيهما دائماً الإفراط والتفريط.

فالإمام الذي ولد يوماً ما في إيران إحدى دول العالم الثالث، وبنى مراحل شخصيته في المراكز العلمية ـ الحوزوية، وقضى ثمانين سنة من عمره وهو مرجع تقليد وقائد ديني في إيران والعراق، قد تمكن من الإنتقال إلى فرنسا وأوروبا، والنفوذ في قلب العالم المتحرر المدعي للتحضر والتطور، ثم الإعلان في هذه الأشهر القليلة عن المراحل الأخيرة من جهاده الطويل لتثبيت حاكمية الإسلام في بلاده، وبالتالي جذب العالم نحو شخصيته وأهدافه ونحو الظروف التي يعيشها شعبه وبلده، فكان ذلك يمثل المفتاح الذي نفهم منه السر الذي يبين سبب الإختلاف والتفاوت بين الإمام والآخرين، وهو ما يمكن الوصول إليه من خلال التحليل المنصف والدقيق.

المجلدان السابع والثامن:

اختص المجلد السابع من هذه المجموعة بموضوع (قيادة النهضة من المنفى)، وانعكاس (الآراء، والمواقف والبيانات الخاصة بالثورة).

في سنة (١٣٤٨هـ.ش -١٩٦٩م) طرح الإمام الخميني قدس سره أثناء وجوده في النجف الأشرف (نظريته البديلة) كأحد العوامل الأساسية للثورة الإسلامية - مطلقاً عليها عنوان (الحكومة الإسلامية) ومؤكداً على الأبعاد السياسية والإجتماعية للإسلام، فكانت تلك صدمة كبيرة للنظام الظالم وأتباعه، كما رسم للمجاهدين الأفق الصحيح لحركتهم ونضالهم. لذلك نلاحظ في المجلة الخاصة بالسافاك بتاريخ (١٣٤٨/١٢/٧هـ.ش) ملاحظات حول هذا الخطاب التاريخي للإمام، والإقتراح بكتابة مقالات متتالية لردّ أقوال الإمام الخميني (ج٧، ص٢٠).

أما المجلد الثامن في هذه المجموعة فكان استمراراً لمواضيع المجلد السابع ومرتبطاً بمواضيع المجلد السادس، وتناول موضوع قيادة النهضة من المنفى، حيث نقل بعض الوثائق الخاصة بالنظريات والمواقف والبيانات الداعية للثورة.

الوثيقة الموجودة في الصفحة (٥٠٣) المجلد الثامن، تشير إلى بعد من أبعاد قيادة الإمام الخميني.

فقد كان الإمام قاطعاً جداً في أدائه، إلى درجة أن بعض الجاهلين بأبعاد الشخصية الكاملة لهذا الرجل الإلهي الكامل، كانوا يعبرون عن هذه

الصفة بالتطرف والشدة. في حين أن الإمام ورغم إصراره الشديد على إسقاط نظام الشاه الملكي والقضاء على محمد رضا الخائن، ولم يتراجع ذرة واحدة عن هذا الموقف ـ الذي ثبتت صحته تدريجياً للجميع ـ كان يتعامل في مراحل ومقاطع ومواضيع أخرى بهدوء وبشكل مسالم، وما يقتضيه التدبير والحكمة.

فالإمام وطيلة جهاده الطويل، لم يلجأ أبداً إلى الجهاد والنضال المسلح[1]، رغم وحشية الإجراءات العدائية لنظام الشاه، ولم يلجأ إلى ذلك حتى في أقسى مراحل حالة الطوارئ، وأشد مراحل الثورة، التي مارس فيها النظام الديكتاتوري أقسى الإجراءات وأراق فيها الكثير من الدماء، ولم يصدر عنه سوى (التهديد بالجهاد) كمحاولة لردع النظام عن أعماله الوحشية.

كما أن الإمام سعى إلى إظهار الصورة الإنسانية المترقية للشعب الإيراني والثورة الإسلامية، رغم هجومه الشديد والدقيق على الطواغيت والظلمة كالحكومة الأمريكية وغيرها، حيث سعى إلى تعزيز روابطه مع الشعوب الأخرى في العالم، ولهذا الغرض وجه في تاريخ (٢٣ديسمبر١٩٧٨)، بياناً إلى الشعب المسيحي يتضمن أدق وأجمل العناوين والألقاب، لتعزيز العلاقات مع الشعوب المسيحية، جاء فيه:

---

(١) رغم أن بيانات وخطابات الإمام قبل الانتصار تكاد تخلو من الدعوة للعمل المسلح ضد النظام إلا أن سيرة بعض المجاهدين حكت عن رضى الإمام بتلك الأعمال بصورة غير علنية ولذا نجد في تاريخ الثورة من قام باغتيال بعض العناصر القذرة في النظام، يلحظ هذا الأمر أيضاً في كتاب كشف الأسرار.

«... أيها الشعب المسيحي أدعوكم باسم الشعب الإيراني المظلوم أن تطلبوا في أيامكم المباركة من الله تعالى أن ينقذ الشعب الإيراني من براثن هذا السلطان الظالم، ويعجل له الفرج والخلاص، وإني أطلب منكم أيها الشعب العظيم أن تحذروا رؤساء بعض الدول المسيحية الذين يستفيدون من قدراتهم الشيطانية لحماية الشاه الظالم، ويعملون على سحق هذا الشعب المظلوم، وأطلب أن تشرحوا لهم تعاليم المسيح عليه السلام. كما أطلب من رجال الدين المسيحيين أن ينصحوا رؤساء بعض الدول العظمى، ويدينوا أعمالهم الوحشية المخالفة لتعاليم الأديان السماوية.

إنّ القرآن الكريم يعظم السيد المسيح ويمجده، وينزه السيدة مريم، لذا ينبغي على الشعب المسيحي أن يرد هذا الدين إلى الشعب المسلم».

وبنظرته الحكيمة والجامعة، أدرك الإمام شدّة تبعية الجيش لشخص الشاه، واعتماد هذا النظام الديكتاتوري على هذا الجيش واحتمال أن يقوم بانقلاب على الثورة، لذلك ومن خلال فهم الإمام العميق للتركيبة الإسلامية للجيش، وجه الإمام خطابه التالي إلى الشعب:

«... إنّ هذا الشعب الشجاع ورغم علمه بوجود عدد قليل من الأذلاء والمجرمين في هذا الجيش الذين اغتروا بتولي المناصب المهمة، وتمت معرفة أسمائهم لي، لكنه يعلم أيضاً بوجود العديد من التيارات الشريفة في الجيش الذين لن يسمحوا لهؤلاء الأذلاء

والتابعين بالقيام بمثل هذه الجريمة (الإنقلاب العسكري) المخالفة لوطنيتهم ومذهبهم.

وإني وبما يمليه عليّ واجبي الإلهي والوطني، أحذّر الجيش الإيراني وأطلب من أصحاب المناصب والرتب الحيلولة دون حدوث هذه المؤامرة إن كانت موجودة، وعدم السماح لعدد من المجرمين بإراقة دماء الشعب الإيراني الشريف. إنّ هذا هو واجبكم الإلهي أيها الجيش المحترم، وستتحملون المسؤولية أمام الله تبارك وتعالى إذا ما أطعتم أمر هؤلاء الخونة بالفطرة، وستدين عملكم المجتمعات البشرية وتلعنكم الأجيال الآتية» (ج٨، ص ٥٢٨).

المجلدات من التاسع حتى الحادي عشر:

المجلد التاسع في هذه المجموعة، يتضمن الوثائق المتعلقة بمواضيع (الإمام، الشخصيات، المجموعات السياسية والإجتماعية، أقارب الإمام والمنسوبين إليه وعائلة الإمام، والوثائق المتعلقة بالإمام ورجال الدين). كما اختص المجلد العاشر أيضاً بهذا العنوان العام، لتسليط الضوء على الوثائق المتعلقة بموضوع (الإمام ورجال الدين).

مواقف مختلفة:

في تاريخ (١٥ /١١/ ١٣٥٠هـ.ش -١٩٧١م)، أصدر السافاك كراساً لا يحمل رقماً، ذكر أن تعطيل الحوزات العلمية لدروسها في الأيام (٢١و٢٢) من شهر دي عام (١٣٥٠هـ.ش)، وما رافقها من غضب في قم اعتراضاً على الإهانة التي وجهها عضوان من أعضاء مجلس الشيوخ

إلى الإمام، كان بسبب التوجيهات التي أصدرها آية الله الگلبايگاني، وأضاف أن السيد شريعتمداري قد أوصى الطلاب بعدم التدخل في هذه الإعتراضات (ج٩، ص٣٧).

جهاد بأسلوب فكاهي:

تذكر الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٧/١١/١٢هـ.ش ـ ١٩٦٨م)، أن أحد الخطباء في أصفهان باسم صمصام، وكان يتمتع بالشجاعة وروح الفكاهة، قد قال من على المنبر:

«لقد ذهبت عدة مرات إلى منزل آية الله الخميني في قم، وقلت له سيدنا لا تكثر من وطأ ذيل هذا الكلب، لأن عاقبة سحق ذيل الكلب أنه سينبح بصوت عال، وأدى ذلك إلى نفيه إلى العراق» (ج٩، ص ٤٠).

واللافت أن هذا المرحوم قد أبدى شجاعة كبيرة، عند اعتقاله من قبل عملاء السافاك.

شجاعة الوسطاء:

إنّ دروس الإمام في موضوع الحكومة الإسلامية الذي طرحه في النجف سنة (١٣٤٨ هـ.ش ـ١٩٦٩م)، كانت توزع في الداخل والخارج عن طريق الكراسات والكاسيتات مما أدى إلى اضطراب عملاء وأركان النظام.

وطبقاً للوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٩/١٢/١٣هـ.ش ـ١٩٧٠م)، أن السيد محمد أبو ترابي قد تعرض في منطقة خسروي الحدودية إلى التفتيش أثناء عودته من العراق، لكنهم لم يجدوا كراس دروس الإمام،

إذ قام بإرسالها مع شخص آخر إلى مكتبة مصطفوي في طهران». (ج٩، ص ٤١).

مكانة مرجعية الإمام:

تذكر الوثيقة المؤرخة بتاريخ (٦/٢/ ١٣٤٩) أسماء رجال الدين في طهران مع ذكر أسماء مراجع تقليديهم. ويشمل هذا الفهرس أسماء (٥٩) شخصاً من علماء الطراز الأول وأئمة المساجد في طهران، تشير الوثيقة إلى أن (٣٢) شخصاً منهم يقلدون الإمام، و(١٩) شخصاً يقلدون السيد الخوئي، و(١٢) شخصاً يقلدون السيد الميلاني، و(٥) أشخاص يقلدون السيد الشاهرودي، وإثنين منهم يقلدان السيد الگلبايگاني، وإثنين منهم يقلدان السيد شريعتمداري، وواحد يقلد السيد الروحاني. (ج٩، ص ٥٢).

الدفاع عن الشباب:

تشير الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٥٥/١٠/٢٣هـ.ش ١٩٧٥م) إلى موقف آية الله الخونساري[1] مقابل طلب عَلَم وزير البلاط بإصدار حكم تكفير الشباب ذوي الميول السياسية، وهو موقف رائع وقابل للتقدير، إذ رد على طلب عَلَم، قائلاً: «إذا كان ذلك ضروريا لكان الأولى أن أصدر حكماً، بتكفيركم لِما سببتموه من أذى للشعب. فلا يوجد شيء في بلادنا، إذ لا يجد الناس الخبز ولا اللحم ولا احتياجاتهم الأخرى،

(١) آية الله السيد أحمد الخوانساري صاحب كتاب (جامع المدارك) كان مقيماً بطهران (ت١٤٠٥).

لأنكم لا تعطونهم سوى الكلام، حتى أصبح الجميع غاضباً عليكم، ولن تجد شخصاً واحداً راضياً عنكم» (ج٩، ص ٥٤).

جهود أنصار الإمام وازدياد نفوذ الإمام:

تدل القرائن والشواهد العديدة أن أنصار الإمام بذلوا جهوداً كبيرة حتى أصبح مقدار الحقوق الشرعية التي تصل الإمام وكذلك المبالغ الشهرية التي يدفعها لطلاب العلوم الدينية، أكثر من المراجع الآخرين، فقد جاء في الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٧/٧/ ١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م):

«إنّ آية الله الخميني كان يرسل أموالاً حتى إلى الخطباء ورجال الدين الذين يسكنون القرى النائية، حتى يتمكنوا من إدارة حياتهم ومعيشتهم» (ج٩، ص ٦١).

وبرغم الموانع الكثيرة التي كان يضعها السافاك ومراقبته الشديدة لأنصار الإمام ومؤيديه، كانت هذه الشبكة الواسعة والمهمة من أنصار الإمام في الداخل والخارج، تستلم الحقوق الشرعية من المؤمنين وتوزعها على الحوزات العلمية، أو توصلها إلى الإمام ليصرفها في إدارة الحوزات العلمية. ويبين الكراس المكتوب بخط الإمام أنه أصدر إجازات شرعية لـ (٥٣١) شخصاً في الفترة ما بين شهر (آبان)[١] سنة (١٣٤٤هـ.ش) إلى شهر (اردبيهشت)[٢] سنة (١٣٥٧هـ.ش).

---

(١) الشهر الثامن في السنة الشمسية.

(٢) الشهر الثاني في السنة الشمسية.

فشل مؤامرات الأعداء:

سعى جهاز السافاك بشدة إلى معرفة طبيعة الإختلافات بين العلماء والمراجع، والعمل على تأجيجها. فقد كان السافاك يعمل بشكل عام على تأجيج الإختلافات بين العلماء، وخاصة الاختلافات بين العلماء وفكر الإمام، حيث يوجد في هذا الموضوع الكثير من الكلام والآلام والمعاناة التي تعرض لها أنصار الإمام ومؤيدوه، لكن الإمام تجاوز هذه الآلام كما صرح في بيانه إلى رجال الدين، وعفا عنها، أما موقف الإمام في مواجهة مؤامرة الأعداء، فكان يؤكد على الدفاع عن كيان الحوزة ومراجعها، رغم اختلافه مع آراء المراجع الآخرين، كما كان يوصي تلامذته ومؤيديه دائماً بتجنب إهانة المراجع الآخرين، وأن يرفضوا غيبة المراجع في بيوتهم وعدم السماح لأي شخص بذلك. لكن ونظراً لمواقف بعض المحسوبين على بيوت العلماء وتدخلهم السلبي في مواقف الإمام الجهادية، وحتى إقامتهم بعلاقات خاصة مع المسؤولين الأمنيين في نظام الشاه، قد دفع أنصار الإمام إلى القيام ببعض ردود الأفعال المستقلة عن مواقف الإمام ورأيه.

المجلد الحادي عشر:

فقد تضمن الوثائق الخاصة بموضوع «الإمام والقوى المؤثرة في النهضة والجهاد (العوامل الإيجابية والسلبية)».

كان أنصار الإمام يسعون بشدة ومن خلال مواقفهم الإيجابية إلى توظيف جميع قدرات الحوزة وطاقاتها في خدمة مواقف الإمام الإسلامية والتحررية؛ لكن الأطراف والقوى السلبية كانت تعارض هذه

المواقف. الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٥/١/٩هـ.ش ـ ١٩٦٦م)، تبين أن عدداً من أساتذة الحوزة من بينهم السادة: النوري، والمنتظري، والأنصاري والخزعلي قد اقترحوا على شريعتمداري في أواخر سنة (١٣٤٤هـ.ش) تعطيل الحوزة لغرض عودة الإمام، لكنه رفض ذلك، وقال لا يمكن تعطيل الحوزة بسبب كلام إثنين أو ثلاثة أطفال! (ج١١، ص١٧).

المجلد الثاني عشر والثالث عشر:

اختص المجلد الثاني عشر بالوثائق التي ترتبط بمواضيع: (الإمام والجامعيون، الإمام والسياسيون، الأحزاب والحركات السياسية).

كان للجامعيين وأساتذة الجامعات دوراً كبيراً ومؤثراً خلال فترة النضال وأحداث الثورة الإسلامية؛ بحيث كان الطلاب الجامعيون في الإتحاد الإسلامي على ارتباط بالإمام منذ سنة (١٣٤٢هـ.ش ـ١٩٦٣م)، والتقوا بالإمام في قم في يوم (١٣٤٢/٢/١٩)، واستمرت هذه اللقاءات بينهم حتى فترة إقامة الإمام في باريس، وثائق السافاك تشير إلى الحضور الغفير لطلاب الجامعات والجامعيين في محل إقامة الإمام في باريس، حيث تولوا إدارة أمور عديدة منها: الإجابة على المكالمات الهاتفية الكثيرة التي كانت تصل من إيران، وتدوين الملاحظات عليها، وإرشاد الصحفيين الأجانب، ومراجعة وترجمة مقالات الإمام ولقاءاته الصحفية ولقاءاته مع الإذاعة والتلفزيون في الدول المختلفة.. وغيرها من النشاطات (ج١٢، ص ٦١).

علاقة الإمام مع الشعب:

اختص المجلد الثالث عشر بالوثائق الخاصة بموضوع (الإمام والشعب)، وإذا ادعينا أن ثورة الإمام الخميني كانت أكثر الثورات في التاريخ شعبية، فلن يكون ذلك جزافاً؛ لأن الشعب الإيراني قد آمن بكل وجوده أن الإمام الخميني صادق في قوله ويليق بتحقيق آمالهم وأمنياتهم، وقائد كفوء لحركاتهم السياسية والجهادية.

أول ارتباط بين الشعب والإمام سجلته وثائق السافاك، كان لقاء الإمام مع الكسبة والتجار في قم، ثم في طهران، وكان يتعلق بأحداث (إتحاد المقاطعات والولايات).

وكان عامة الناس ومؤيدوا الإمام هم الذين تولوا طباعة ونشر الرسالة العملية للإمام، وكذلك استنساخ الأشرطة الصوتية لخطبه في النجف، واستنساخ بياناته وإعلاناته، كما أن نصب صور الإمام كان يشير إلى علاقة الشعب القوية بالإمام وقائد النهضة الإسلامية، واستعدادهم لتحمل عواقب هذا العمل. ونقرأ في الوثائق الكثيرة التي تركها السافاك:

«تشير التقارير الواصلة من المدن المختلفة مثل: بهشهر، نهاوند، رفنسنجان، يزد، كرمان، تبريز، وطهران، إلى توزيع صور الإمام بين الناس».

كما تدل التقارير الأخرى على هذا الموضوع:

«تم منع توزيع وبيع صور الإمام في مناطق لرستان وگيلان». (ج١٣، ص ٢٠).

ولم تكن العلاقة بين الإمام والشعب من طرف واحد، بل كانت علاقة ومحبة من طرفين، إذ كان يقوم بجميع جهاده ونضاله لتحرير هذا الشعب وتحقيق الرفاه له، وبالطبع كانت تعتبر جميع أعماله جزءاً من الواجبات الشرعية وأداء التكليف الإلهي.

تشير الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٤/٧/٨هـ.ش)، أن الإمام طلب من أحد أقاربه إرسال مبلغ عشرة آلاف ريال شهرياً كمساعدة للشيخ باقر محي الدين الأنواري (أحد المحكومين بقضية اغتيال منصور)[١].

كما أكد على مساعدة عوائل الشهداء الأربعة في هذه العملية وهم (الشهداء بخارائي، نيكنجاد، صفار هرندي، وإمامي)، حيث كانت تصلهم المساعدات بشكل مستمر. (ج١٣، ص ١٢٥).

المجلد الرابع عشر والخامس عشر:

اختص المجلد الرابع عشر ببحث الوثائق الخاصة بعلاقة (الإمام والشعب).

أما المجلد الخامس عشر، فيبحث العناوين التالية:

١ـ الإمام والشعب.

٢ـ العائلة، (بيت الإمام والمنسوبين إليه).

كانت أول التقارير الخاصة بعائلة الإمام، تتحدث عن التعريف بأشقاء الإمام (السادة بسنديدة ونور الدين الهندي) في خمين،

---

(١) حسن علي منصور رئيس الوزراء وهو من أوعز إلى المجلس بالتصويت لصالح الحصانة القانونية للأمريكيين وعوائلهم، قام المجاهد بخارائي باغتياله بالرصاص وهو يترجل من سيارته.

وتحركاتهم وزياراتهم ومواقفهم، خاصة ما يتعلق بدور ونفوذ آية الله بسنديدة في مدينة خمين، وسفره المتكرر إلى قم أوائل النهضة مع أهالي خمين أو بمفرده، (ج١٥، ص ٣٤٩)، بتاريخ (٦/٦/ ١٣٤٤هـ.ش).

والظاهر أن إقالة ابن السيد بسنديدة من عمله في (بنك ملي) كان بسبب تدخله في أمور خمين. (ص ٣٥٠).

كما اهتم السافاك لفترة طويلة بمتابعة المرحوم السيد أحمد الخميني ومراقبته أثناء فترة مراقبة بيت الإمام في قم، كما ينقل التقرير المؤرخ بتاريخ (٢١ بهمن ١٣٤٨هـ.ش) زيارة السيدة زوجة الإمام إلى إيران في شهر مرداد سنة (١٣٥١ هـ.ش) للقاء أبنائها وأقاربها ورؤية حفيدها الجديد ابن السيد أحمد، ويشير إلى إصدار الأوامر التي وجهت إلى السافاك لمراقبة أعمالها وسلوكها. (ص ٣٥٥)، وتكررت هذه المراقبة أيضاً في سفرها إلى إيران في شهر (تير)[1] سنة (١٣٥٣هـ.ش ـ١٩٧٤م). أما الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٥٧/٣/٢٢هـ.ش)، ينقل ممثل السافاك في العراق تصريحات حول السيد أحمد الخميني الخاصة: (قبل فترة قال أحد المسؤولين الأمنيين الإيرانيين متأسفاً، لقد أدركنا متأخرين النشاطات الكثيرة للسيد أحمد الخميني في قم، وللأسف تمكن أن ينجو بنفسه منا). (ص ٣٦٠).

المجلدات السادس عشر إلى التاسع عشر:

هذه المجموعة (المجلدات الأربعة) اختصت بالوثائق المتعلقة بموضوع (الإمام ونظام الشاه).

---

(١) الشهر الرابع من السنة الشمسية.

فيتضمن المجلد السادس عشر الوثائق المتعلقة بموضوع (العراقيل والمؤامرات التي تحاك ضد الإمام). حيث جاء في أول وثيقة من هذا المجلد والمؤرخة بتاريخ (١٣٤٢/١/١٦هـ.ش): «في ليلة ١/٣/تم توزيع منشور في قم ضد آية الله الخميني، وذكر أن غداً سيكون موعداً للتعريف بآية الله شريعتمداري، لذلك سافر الموظف عند آية الله شريعتمداري فجر يوم ١/٤ إلى طهران ليقف على رأي المسؤولين المعنيين عن عدم طلب نشر مثل هذا الإعلان، والظاهر أنه التقى بمعاون رئيس الوزراء، ورئيس الأمن الداخلي في البلاد، ثم عاد عصر يوم/ ١/٤ إلى قم».

واستمر سعي الأعداء ومعارضي الإمام الخميني في تشويه صورة الإمام، فعمدوا إلى نشر الكثير من الشائعات الكاذبة التي يروجها جهاز السافاك، ثم ينتظروا ردود الأفعال عند الناس. لكن بالإضافة إلى سعي الأجهزة الأمنية الحكومية في ترويج الإشاعات لاغتيال شخصية الإمام، يمكن أيضاً أن نحتمل قيام بعض الأفراد التابعين لبعض التيارات السياسية أو الحوزة، بترويج مثل هذه الإشاعات ضد الإمام عن جهل أو عدم فهم، كما ويشير هذا التقرير:

«في الكثير من الموارد كان المجاهدون وأنصار الإمام يقومون بترويج بعض الشائعات لإشغال رجال السافاك والتمويه عليهم، بحيث كانت الأجهزة المعنية تستهلك وقتاً وطاقات كبيرة للتأكد من صحة أو سقم هذه الشائعات». (ج١٨، ص ١١).

المجلد الحادي والعشرون:

اختص هذا المجلد، ببحث الوثائق الخاصة بموضوع (الإمام والحكومات والمسائل العالمية)، مع عناوين فرعية: (الإمام والنظام البعثي في العراق) و (الإمام وفلسطين).

إنّ الإمام الخميني لم يخضع أبدا إلى رغبات وميول الحكومات التي تعاقبت على إيران والعراق، وبالتالي لم يربط تحركاته ومواقفه الأصولية والإلهية مع هذه الرغبات. لذلك فقد استمر في طريقه القويم بشجاعة وتدبير كامل سواء في السنوات (١٩٦٣ ـ ١٩٦٨) أو السنوات بين (١٩٦٨ ـ ١٩٧٩م) أي فترة الإنقلابين الذين قام بهما البعثيون في العراق. حيث تشير الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٨/٢/١٠هـ.ش) أي بعد فترة قصيرة من لقاء الإمام بالمسؤولين العراقيين، إذ ينقل ممثل السافاك في العراق: (عندما رفض الإمام الإستجابة إلى مطالبهم، هددوه بإخراجه من العراق). (ج٢٠، ص ١١).

الوعي وشمول الرؤية:

عندما طرح الإمام الخميني نظرية الحكومة الإسلامية، في سنة (١٩٦٩م)، فإنه بدء العد التنازلي لإسقاط النظام الديكتاتوري في إيران، لكن مع ذلك رفض طلب حكومة البعث في العراق ـ بماهيتها الديكتاتورية ـ المشابهة لحكومة الشاه ـ بسبب اختلافاتها مع حكومة إيران، واعتباراتها السياسية، بإصدار بيان ضد الحكومة الإيرانية، كما تشير إلى ذلك الوثيقة المؤرخة بتاريخ (١٣٤٨/٢/٣٠هـ.ش) حيث تذكر

لقاء محافظ كربلاء ووزير خارجية العراق مع الإمام والطلب منه باتخاذ موقف ضد الحكومة الإيرانية.

إنّ الإمام الخميني ومنذ الأيام الأولى لجهاده الإسلامي، قد شدد هجومه ونقده على أمريكا وإسرائيل الحاميين الأساسيين لدكتاتور إيران، بموازاة نقده ومعارضته للحكومة الفاسدة في إيران، وكان يعتبر المسؤولين في نظام الشاه عملاء لإسرائيل والصهاينة. حيث قال في خطابه بتاريخ (٢٦/ ١/١٣٤٣هـ.ش): «أيها الناس، أيها العالم يجب أن تعلموا أن شعبنا ضد الإتفاقية مع إسرائيل...» (ج٢٠ ص٣١٧).

«إني أعلنت لجميع الدول الإسلامية وللمسلمين في العالم، أن أبناء المذهب الشيعي الأعزاء يكرهون إسرائيل وعملائها، ويشعرون بالكراهية والانزعاج من جميع الحكومات التي تتعامل مع إسرائيل» (ج٢٠، ص ٣١٨).

وكان جهاز السافاك يتابع باستمرار هذه المواقف الثابتة للإمام سواء أثناء فترة وجوده في إيران أو في المنفى. وتم تثبيت هذه المواقف في وثائق السافاك، التي تم نشرها أيضاً في المجلد العشرين من هذه المجموعة.

المجلد الثاني والعشرون:

يتضمن هذا المجلد الوثائق الخاصة بالمواضيع التالية:

(الإمام ووسائل الإعلام العالمية) و(نهضة الإمام وردود الأفعال وانعكاساتها خارج البلاد).

وحول هذا الموضوع، تم رصد أسماء (١٥) وكالة أنباء، وصحيفة،

(أسبوعية ونصف شهرية) ونشرية، مسجلة في وثائق السافاك الموجودة في الملف الشخصي للإمام، تتضمن موضوعات تتحدث حول الإمام الخميني ونهضته الإسلامية.

كذلك نجد بعض التقارير على هيئة مسودات كانت تستنسخ ليتم تبادلها بين دور النشر. وكانت أول وثيقة منها تحمل التاريخ (١٠ مرداد سنة ١٣٤٢هـ.ش -١٩٦٣م) وآخرها تحمل التاريخ (٣دي سنة ١٣٥٧هـ.ش)، حيث تم نقل الوثيقة الأولى من وكالة الأنباء الفرنسية عن جريدة (الأهرام) شبه الرسمية في القاهرة، بتاريخ (١٠ مرداد سنة ١٣٤٣هـ.ش).

الرسالة السياسية

للحوزات في فكر الإمام الخميني قدس سره

محمد صادق مزيناني

إن الدور الأساسي للحوزة ونخبها في السياسة يشكل أحد المفردات المهمة الجديرة بالتأمل من بين ما يندرج ضمن لائحة أعمال هذه المؤسسة.

أما ما المقصود من دور الحوزة الأساسي في السياسة؟ فهل هو أن الحوزة كمؤسسة دينية مكلفة إضافة إلى القيام بوظيفة تبليغ الدين وإرشاد الناس، بتشييد أسس الحكومة الإسلامية، والسعي لتطبيق قوانين الإسلام و تعاليمه؟ أم أن الحوزة ليس لها من دور في هذا المجال، كالكنيسة؟

لقد كان جر الحوزة نحو الإنزواء في الماضي، وإبعاد علماء الدين عن المشاركة في المجال السياسي أمراً أوثق ارتباطا بمخططات وحركات الإستعمار منه بالفكر الحوزوي وما يتركه بعض الحوزويين ومفكريهم من نتاج ثقافي. وكانت المكررات والدعايات التي ينفخها العدو في أبواقه والتي تتحدث دائما عن فصل الدين عن السياسة قد أخذت مأخذا في الأذهان، حتى أوجدت نمطا معينا من التفكير؛ وهو

أن التدخل في العمل السياسي ليس وظيفة علماء الدين، بل إنه أمر لا يليق بشأنهم. وعلى ما يقوله الإمام الخميني لقد كان يعتبر لقب (الآخوند السياسي ـ رجل الدين السياسي) شتيمة[١]. وقد نهض الإمام الخميني قدس سره في هكذا زمن، وخلال فترة راجت فيها هذه الأفكار، ونزل إلى معترك السياسة، وأطلق البيانات والخطابات طالبا من الحوزة والعلماء ،انطلاقا من موقعيته كفقيه وعالم بالإسلام، الحضور في ساحات العمل السياسي والسعي لإطاحة النظام الطاغوتي ولرفع راية الحكومة الإسلامية، وذلك أداءً للواجب وللرسالة الدينية. وكثيرا ما عرض الإمام الخميني قدس سره فكره المتعالي المخلّص الراقي هذا وأكّد عليه، سواء قبل الثورة الإسلامية أم بعدها، وفي مختلف المناسبات. وكان هذا الإنسان العظيم يعتقد أن الحوزة لن تستطيع تأدية رسالتها التاريخية ووظيفتها الدينية حتى تتمكن من الحضور في قلب السياسة، وتكون السلطة التنفيذية بيدها. وهذا المعتقد له منشأه في عدة أصول رئيسية، لا يكون بدونها التمسك بهكذا نظرية أمراً منطقي:

١ ـ أصل الترابط بين الدين والسياسة.

٢ ـ إن لعب الدور الرئيسي والحضور بفعالية في ساحة العمل السياسي من أهم وظائف الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.

٣ ـ الشراكة بين علماء الدين والفقهاء العدول والأتقياء من جهة وبين الأنبياء في هذه الوظيفة.

---

(١) صحيفة النور، مجموعة إرشادات الإمام الخميني قدس سره، ج٥، ص ٢٩، إرشاد إسلامي.

٤ ـ إن تشكيل الحكومة هو أحد أهم الوظائف الأساسية الملقاة على عاتق العلماء والفقهاء المتعمقون والأتقياء العدول.

وعلى هذا، فالبحث في فكرة (وجوب الحضور الواسع لعلماء الدين في ميادين السياسة) كما يراها الإمام الخميني قدس سره، ترتبط بتوضيح وتحليل فكر ذلك الإنسان العظيم فيما يرتبط بالأصول المذكورة آنفاً.كما ونريد في هذه المقالة أن نلقي نظرة سريعة على رؤية ذلك الحكيم حول هذا الموضوع والأسس التي يعتمد عليها. ولكن سوف نتعرض قبل ذلك لمفهوم (السياسة) واستعمالها في الثقافة الإسلامية، وذلك بإشارة مختصرة مناسبة للمقام ومفيدة:

مفهوم السياسة

لقد وضع علماء العلوم السياسية تعاريف متنوعة للسياسة. فمنهم من قال أنها «علم القدرة»، وآخرون «متابعة أمور الدولة»، هناك أيضا من قالوا «إتخاذ القرار في المسائل المختلفة». وهناك من أشار إلى عناصر أخرى في تعريفه للسياسة[1]، وهي ما يترك نقدها وبحثها لمحلّه. وقد أوردت إستعمالات عديدة في القواميس الفارسية والعربية

---

(١) مبانى علم سياست (أسس علم السياسة)، عبد الحميد أبو الحمد، ج ١ ص٢١؛ ١٥. آشنائى با علم سياست (التعرف على علم السياسة)، لمجموعة من المؤلفين الأجانب (غير الإيرانيين)، ترجمة بهرام ملكوتى؛ أصول علم سياست (أصول علم السياسة) موريس دوورژه، ترجمة أبو الفضل قاضي /٣ ، ٨؛ مقدمه اى بر سياست (مقدمة في السياسة) هارولد لاسكي، ترجمة منوچهر صفا / ١٣٤، شركت سهامي كتابهاى جيبى (الشركة المساهمة للكتب الجيبية).

لمفردة (السياسة)، منها: تدبير الأمور، التربية، الولاية، الأمر، العدالة والقضاء. وقد فسّر الأغلب من أصحاب الرأي السياسة في كتاباتهم على أنها إدارة المجتمع والحكومة على الناس، ونذكر التالي كنماذج:

«السياسة: هي القيام على الشيء بما يصلحه وكان بنوا إسرائيل يسوسهم أنبياؤهم، أي يتولون أمورهم كما يفعل الأمراء و الولاة بالرعية»[١]. وقد جاءت هذه المفردة في الروايات والأدعية بهذا المعنى أيضا، وهو ما ينسجم إلى حد ما مع المعنى اللغوي والإصطلاحي. وكمثال على ذلك نذكر التالي:

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن الله أدّب نبيه، ثم فوّض إليه أمر الدين والأمة ليسوس عباده»[٢].

لقد بيّن الإمام الخميني قدس سره تفسيره للسياسة مرات عديدة في خطاباته وبياناته، من جملتها ما يقوله في أحد خطاباته حول التفتيش عن جذور الفكر الضال المعادي للدين (فصل الدين عن السياسة):

«ولكن ما هي السياسة؟ هي علاقة الحاكم بالشعب، وعلاقة الحاكم مع سائر الحكومات، والوقاية من المفاسد التي تعرض؛ كل هذه سياسة»[٣].

---

(١) لسان العرب، ابن منظور، ج ٦، ص ١٠٨، نشر أدب الحوزة، قم.
(٢) أصول الكافي، الكليني، ج١ ، ص ٢٨، ٢٦٦، دار صعب، دار التعارف.
(٣) صحيفة النور، ج١٣، ص ٢٣٩.

وكما يقول في مورد آخر:

«السياسة هي هداية المجتمع ومواكبته، والإلتفات إلى مصالحه، وهذا ما يختص بالأنبياء والأولياء، ويتبعهم في ذلك علماء الإسلام الواعون»[١]. وهذا هو المعنى الذي تنظر إليه الروايات و الزيارة الجامعة حين تعتبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام «ساسة العباد»[٢]، «سادة العباد وساسة البلاد»[٣]. وقد كتب العلامة المجلسي في مسألة أنه لا بد لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله من تعيين خليفة معصوم، فقال: «هكذا تقضي السياسة المَرْضيّة وعموم الرحمة الإلهية، و ثبوت الشفقة المحمدية»[٤].

وهذا يعني أن السياسة الإلهية تقتضي أن يُعهد زمام الأمور إلى سياسيين إلهيين؛ لأنه لا حياة بدون سياسة، وإذا لم يهتم السياسيون الإلهيون بهذا العمل، فإن لاعبي السياسة المحترفين سيأخذون مكانهم، ويعيثوا الظلم والفساد.

وعليه، فالسياسة كما يراها الإمام الخميني قدس سره، هي عبارة عن: إدارة البلاد على أساس المصلحة الدينية والدنيوية للشعب. ولا ينتهج هكذا سياسة إلا أنبياء الله وأولياؤه، والعلماء اليقظون المريدون لله[٥]؛

---

(١) صحيفة النور، ج١٣، ص ٢١٨.
(٢) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج ٩٥، ص٣٢٠، مؤسسة الوفاء، بيروت.
(٣) المصدر السابق، ج ٢٥، ص ٢٣.
(٤) المصدر السابق، ج ٣٨، ص١٩٢.
(٥) صحيفة النور، ج١٣، ص ٢١٧ ـ ٢١٨.

وما يقصده الإمام الخميني قدس سره هو أن التبعية لتعاليم الإسلام، وكلمات أمير المؤمنين عليه السلام[١] تمنع من أن يكون للخداع والمكر والإحتيال أي دور في السياسة الإسلامية الأصيلة[٢]. وإذا أخذنا هذا الأمر بعين الإعتبار نقول: إن الإنبياء، وخاصة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله، كانوا وجه الديانة والسياسة، وكانوا يهتمون بأمور الناس على الصعيد السياسي والإجتماعي، على ضوء الشريعة وضمن ما تمليه إرشاداتها، و كانوا يعتبرون هذا النوع من الإهتمام جزءً من برامجهم وأهدافهم الدينية.

ويقول الإمام الخميني قدس سره: «لقد بعث الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله ليتكفل بسياسة الأمة، والسياسة عمل الأنبياء، والديانة هي عينها السياسة التي تحرك الناس لتهديهم إلى كل الأشياء التي فيها صلاح الشعب والناس»[٣].

ارتباط الدين بالسياسة

من الصحيح أن طرح هذا البحث و مستنداته يقع في منزلة البحث المقدماتي للكلام، إلا أنه ذو أهمية خاصة؛ لأنه ما لم يتضح ارتباط الدين بالسياسة، ولم تتم الإجابة على شبهة فصل الدين عن السياسة، فسوف لن تأخذ نظرية وجوب وضرورة اهتمام العلماء بالأمور السياسية موقعها الحقيقي.

---

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، ص١٩١.
(٢) صحيفة النور، ج١٣، ص٢١٧.
(٣) المصدر السابق، ٢١٧ ـ ٢١٨.

والسؤال الأساسي هو: هل السياسة والحكومة جزء من الدين؟ وهل إدارة المجتمع دون مراعاة تعاليم الإسلام يعتبر عملا غير دينيّ؟ بل هل هو معادٍ للدين؟ أم أن السياسة والحكومة من الأبحاث العقلائية، وليس لدى الدين رسالة في هذا المجال؟ وبالتالي هل سيقع عاتق تشخيص المصالح والحاجات وإزالة العوائق وتنظيم الأمور على الناس أو من يمثلهم؟

هناك نظريات متنوعة في هذه المقولة وضمن مجال الإجابة عن هذه الأسئلة؛ وسنتعرّض هنا لنظرية الأشخاص المؤمنين بفصل الدين عن السياسة، ومن ثم نقوم بإعطاء الإجابة وفق المباني التي بين أيدينا:

نظرية فصل الدين عن السياسة:

يعتقد البعض أن الدين منفصل عن السياسة، ولكن هؤلاء لم ينطقوا بكلام موحد في هذا المجال؛ فمنهم من يقول إنه يمكن الإستفادة من النصوص الدينية أن التدخل في الأمور الدنيوية ليس من الأهداف الدينية، وأنه قد ألقيت عهدة الأمور السياسية والإجتماعية على عاتق العقل والتجربة البشرية. ويقول بعض هؤلاء:

لم يكن هناك أي نوع من الإرتباط والتلاحم بين حكومة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والرسالة، وكانت وظيفة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم تقتصر على هداية الناس في الأمور المعنوية والأخروية، ولكن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم استلم الحكومة بسبب بيعة الناس له، وإلا لم يكن ليتسلّم أي مسؤولية في هذا المجال.

وهنـاك مجموعـة أخـرى تعتقـد أنـه: لا يمكـن تنظـيم الأمـور الـسياسية الإجتماعيـة وفـق تعـاليم الإسـلام! و هـؤلاء فـي الحقيقـة يقولون إن الإسلام لا يتمتع بقابلية هكذا عمل ولا يستطيع إدارة عجلـة المجتمع وحياة الناس.

والجواب: يرى الإمام الخميني قدس سره أن هناك ارتباط عميق وواسـع بين الـدين والـسياسة، وهـذا مـا يمكـن رؤيتـه فـي مجموعـة مـن أصـول وفروع الدين. وعلى هذا الأساس قام هو قدس سره ببذل الجهد طـوال حياتـه السياسية لكي ينهي الإعتقاد القائل بفصل الـدين عـن الـسياسة، ولكـي يقدم جوابا عميقا يناسب هذا الكلام الـواهي، ولكـي يثبـت بالعمـل أنـه يمكن الجمع بين الدين والسياسة، وأنـه بالإمكـان تطبيـق الـدين الـذي تكون الـسياسة جـزءاً لا ينفـك عنـه. وقـد اسـتمد الإمـام فكـره وحركتـه ونهضته وكفاحـه مـن هـذا الأصـل الخالـد والحيـوي، وهـو الـذي كانـت حياته مترابطة مع أفكاره بوثاقة لا تقبل الإنفـصام. لقـد حـارب الإمـام الخميني قدس سره الظلم والظالمين، ودافع عن المظلومين والمستضعفين، وأراد إحقاق العدالة الإجتماعية، ثم قـام بـصياغة نظريـة ولايـة الفقيـه وضرورة قيام الحكومة الإسلامية، ثم صب اهتمامه على ضرورة محاربـة الإستعمار والصهيونية، وإجراء مراسم البراءة من المشركين فـي الحـج، وأحيى صلاة الجمعـة والعيـدين، وكـان لكـل هـذه الأعمـال جـذورها فـي التفكـر النـابع مـن الإسـلام الأصـيل الـذي كـان يـؤمن بـه، وهـو الـدين المعجون بالسياسة. وقد صاغ الإمام قدس سره أدلة كثيرة لتثبيت دعائم هـذا الفكر، حيث سنقوم بفهرستها، ومن ثم نشرح قسما منها:

١ ـ البنية الطبيعية لدين الإسلام.

٢ ـ سيرة الأنبياء، بالأخص سيرة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله في محاربة الحكام الظالمين، وتشكيل الحكومة الإسلامية.

٣ ـ إصدار الأمر بإنشاء نظام القيادة والحكومة من بعده، و ذلك في الأيام الأولى من البعثة.

٤ ـ مع عدم وجود نظام وحكومة تابعة للدين، سوف لن يكون هناك ضامن لإجرائه.

٥ ـ المواجهة المستمرة بين الأئمة المعصومين عليهم السلام والحكومات الظالمة.

٦ ـ الآيات و الروايات التي تعتبر التعاون مع الظالمين والخضوع لهم أمرا لا يمكن التغاضي عنه.

البنية الطبيعية للدين:

يرى الإمام الخميني قدس سره أن الإسلام دين لا يقتصر على العبادة والموعظة، بل هو دين جامع وكامل، يطال كل شؤون حياة الإنسان من إقتصاد، وسياسة، والتربية، والقانون، والإرشاد.

فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحدود والتعزيرات، والقصاص والديّات، هذه كلها تشكل القسم الأساسي الأهم من تعاليم الإسلام.

«الإسلام دين السياسة، وهذا ما يمكن مشاهدته بوضوح عند أدنى تأمل في الأحكام الحكومتية، والسياسيّة والإقتصاديّة.

إنّ من يدّعي أن الدين منفصل عن السياسة، فهو لم يعرف الدين

ولا السياسة»[١]. هناك الكثير من الآيات والروايات التي يصعب إحصاؤها، من ذوات الدلالة على البعد السياسي الإجتماعي في الإسلام. وقد أشار الإمام الخميني قدس سره إلى هذه المسألة في وصيته السياسية الإلهية:

«إن القرآن الكريم وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يحتويان على أحكام في الحكومة و السياسة أكثر منهما في سائر الموضوعات، بل إن كثيرا من الأحكام العبادية في الإسلام هي عباديّة سياسيّة»[٢]. وقد تحدّث الإمام الخميني قدس سره في كتابه «الحكومة الإسلامية» بوضوح حول هذا الموضوع، حيث ذكر هناك أن الآيات الإجتماعية في القرآن تبلغ مئة ضعف العبادية منها، ثم يقول ـ وهو من يملك المعرفة العميقة بالكتب الروائية:

عندما ننظر إلى دورة حديثية مؤلفة من خمسين مجلدا، قد نعثر على ثلاثة إلى أربعة منها حول المسائل العباديّة، ووظيفة الإنسان تجاه ربه. وقسم منها يختص بالأخلاق؛ أما الباقي ففي المجتمع والسياسة والقانون[٣]. وقد ترقى الإمام الخميني قدس سره إلى مستوى أعلى واعتبر المسائل الأخلاقية والعباديّة مرتبطة بالمسائل السياسيّة.

ونذكر كنماذج: صلاة الجماعة، وصلاة عيد الفطر وعيد الأضحى،

---

(١) تحرير الوسيلة، الإمام الخميني، ج١، ص٢٣٤.

(٢) صحيفة النور، ج ٢١، ص ١٧٨.

(٣) ولايت فقيه (الحكومة الإسلامية)، الإمام الخميني، ص ٥، مؤسسة تنظيم ونشر آثار الإمام الخميني قدس سره.

وصلاة الجمعة، والحج، وجميعها يعتبر من السنن والمناسك العباديّة، لكن البعد السياسي فيها جليّ بتميّز[١]. وتظهر أهمية صلاة الجمعة بشكل خاص، فهي صلاة يجب أن يؤديها الإمام المعصوم عليه السلام، أو وكيله، وفي زمن الغيبة يؤديها نائب الإمام العام أو من يجاز من قبله، كما ويجب تهيئة الظروف لإقامتها[٢]. إضافة إلى أن الروايات تذكر أنه يجب تبيين مصالح المسلمين الدينية والدنيوية في الخطبة، كما يجب أن يُطلع الناس على الأحداث الحاصلة في البلدان الإسلامية الأخرى، وعلى المسائل التي ترتبط بعزتهم واستقلالهم[٣].

«إن ماهية وكيفية هذه القوانين تفهمنا أنه قد تم تشريعها من أجل إنشاء الحكومة، وإدارة المجتمع سياسيا وإقتصاديا وثقافيا»[٤].

«لقد كان دين الإسلام منذ ظهوره مخالفا للأنظمة الحاكمة في المجتمع، ويمتلك نظامه الخاص في الإجتماع والإقتصاد والثقافة، وله قوانين خاصة في كل أبعاد وشؤون الحياة الفردية والإجتماعية، ولا يقبل غيرها لتحقيق سعادة المجتمع»[٥]. فالإمام قدس سره يرى إذن أنه لا

---

(١) صحيفة النور، ج ١٣، ص ٢٣؛ و ج ٢٠، ص ١١١، ص ٨١.

(٢) احكام نماز جمعة مطابق با فتواى امام، با حواشى مراجع عظام (أحكام صلاة الجمعة المطابقة لفتوى الإمام الخميني قدس سره، مع تعليقات المراجع العظام)، تنظيم: علم الهدى أسدي، ص ١٩، ٣٤، ٤٨.

(٣) تحرير الوسيلة، ج ١، ص ٢٤٣، دار التعارف، بيروت.

(٤) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٢٠.

(٥) صحيفة النور، ج ٤ ، ص١٦٨.

فصل بين الدين والسياسة، فالدين لا يكون كاملا دون حكومة، وإذا أردنا تطبيق الدين بكل ما للكلمة من معنى، فلا بد أن يسعى أتباعه لتشكيل حكومة، ومن يعتقد غير هذا في الإسلام، فهو إما جاهل بالإسلام أو أنه يسعى لأهداف سياسية خاصة[١]؛ فالدين الذي يعتبر السياسة من أجزاء ماهيته وجوهره، والذي وُصف قادته بـ «ساسة العباد»، ويقول إن كل أفراد الأمة الإسلامية يتحملون مسؤولية مصير بعضهم البعض «كلكم راعٍ وكلكم مسؤول عن رعيته»[٢] «الإهتمام بأمور المسلمين»[٣]، ويعتبر هذه المسائل من المؤشرات على سلامة المجتمع الإسلامي، كيف لهكذا دين يمكن أن يحبذ فصل الدين عن السياسة، أو أن يسمح للخبراء والمتخصصين من أتباع نهجه أن يكونوا بعيدين عن السياسة والمجتمع؟!

ثم إنه إذا كان كل ما يملكه الدين هو برنامج ينظم الأمور الأخروية والمعنوية للبشر، فما حاجة كل هذه الآيات والروايات السياسة والإجتماعية؟ وبناء عليه يكون القول بأنه لم يرد الكلام حول السياسة والحكومة في النصوص الدينية هو قول واهٍ، بعيد عن العقل، وسببه الجهل بالتعاليم الإسلامية العليا.

لقد كان الإمام الخميني قدس سره مؤمنا بكل وجوده ومن أعماق قلبه،

---

(١) صحيفة النور، ج ٢١، ص ١٧٦.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج ٤، ص ٢٣٧، مركز انتشارات دفتر تبليغات إسلامي (مركز النشر لمكتب الإعلام الإسلامي).

(٣) أصول الكافي، ج٢، ١٣٦.

إيمانا واعيا عن علم وبصيرة بأن تشكيل الرسول صلى الله عليه وآله للحكومة كان واجبا دينيا بأمر صادر من الله، وموافقةٌ منه للقرآن المجيد[١]. لقد كان الإمام صاحب نظرة شاملة، فهو لم ينظر إلى الإسلام أو يحكم عليه من زاوية واحدة.

كان الإمام الخميني قدس سره يؤمن بثلاث مقامات جعلها الله لنبي الإسلام صلى الله عليه وآله: الرسالة، والقضاء، وقيادة المجتمع[٢]، وقد قام الإمام ،على هذا الأساس، بتشكيل الحكومة والتفرغ لتطبيق تعاليم الإسلام.

لقد استدل المتوهمون في تلفيقاتهم وأوهامهم بالآيات التي تتحدث حول رسالة النبي صلى الله عليه وآله فقط، في حال أنه توجد آيات أخرى تبين بوضوح وظيفة النبي صلى الله عليه وآله الدينية فيما يخص تأسيس الأمة وقيادتها[٣].

ويعتقد الإمام الخميني قدس سره أن منصب الحكومة والقضاء لم ينته بموت النبي صلى الله عليه وآله، بل هما ثابتان للأئمة المعصومين بعد ارتحاله صلى الله عليه وآله. ويعتقد الإمام الخميني قدس سره أن انتخاب الرسول صلى الله عليه وآله للخليفة كان في مسار نفس القضية، ولو أن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله لم يعمل بهذا الجزء من الرسالة لبقيت ناقصة: إن لم تعين خليفة ﴿فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾[٤].

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٦٠.
(٢) الرسائل، الإمام الخميني قدس سره، ٥٠ ـ ٥٤، إسماعيليان.
(٣) سورة الأحزاب، الآية ٦، ٣٦/ وسورة النساء، الآية ٦، ٦٥.
(٤) سورة المائدة، الآية ٦٧.

إن السبب الكامن وراء اعتبار تمامية الرسالة مساوية لتعيين الخليفة هو ضرورة إجراء الأحكام، وضرورة وجود قوة تنفيذية يعتمد عليها وتفتح الطريق أمام تحقق الرسالة وإيجاد النظام العادل ـ الذي هو الأساس في إسعاد البشر[١].

فإذا ما نستفيده من هذه الكلمات هو أن الإسلام يمتلك أنظمة متعددة: سياسية وإقتصادية. والذي يطبق هذا النظام في زمن الحضور هو النبي صلى الله عليه وآله والإمام عليه السلام، ويتولى أمره الولي الفقيه في عصر الغيبة.

ولكن الأمر لا يقتصر ـ كما سنذكر ـ على حضور العلماء والفقهاء في المجال السياسي، وهو ما يمكن أن نستدل على وجوبه وضرورته بوضوح.

وبناءً على هذه النتيجة نرى أنه لا فرق بين نظرية التنصيب، والإنتخاب، وتوكيل الفقيه، حيث إنه من المرفوض تحديد مسؤولية علماء الدين بالمسائل الفردية والعبادية على كل هذه المباني.

ويعتقد البعض من مدّعي انفصال الدين عن السياسة أن: الدين لا يستطيع أن يتدخل في شؤون البشر الدنيوية، كالسياسة والحكومة، ويجب أن لا يفعل ذلك.

ودليلهم الأهم والأشهر على ذلك هو: أن الدين و تعاليمه يتصفان بالثبات، أما المقولات الإجتماعية والسياسية فهي تأخذ أشكالا جديدة دائما، وذلك بسبب التغير والتناسق مع التحولات في الثقافة والعلم والتجارب الإجتماعية البشرية، وكمثال على ذلك نذكر: العلاقات

---

(١) ولاية فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص١٥.

الموجودة في المجتمع الصناعي والتي لم تكن موجودة أبدا في المجتمع البدوي في صدر الإسلام، وكذلك العلاقات المالية في المجتمع العصري المعقّد، لم تكن موجودة في المجتمع البدوي في صدر الإسلام.

وبالتالي فقد استنتجوا من هاتين المقدمتين التالي: بما أن الدين ثابت، فهو لا يستطيع أن يواكب الحاجات المتغيرة، وبالتالي فإن الحل الوحيد هو: أن نبعد الدين عن معترك الحياة الإجتماعية والسياسية؛ إذ أن الإصرار على إدخال الدين في هذه الأمور سيسبب التخلف، ويمنع من تطور المجتمع وتنميته.

أما الإمام الخميني قدس سره فيرى أن هذا الإعتقاد والخيال قد نشأ من عجزهم عن التوفيق بين الدين وتعاليمه من جهة، وبين الحاجات الإنسانية المتغيرة والزمان من جهة أخرى؛ كما قد يكون منشؤه الأهداف السياسية الحقودة، حيث يمكن أن تكون هي التي حدت بهم للجوء إلى هكذا دعايات.

ويقول المفكرون الإسلاميون، الإمام الخميني قدس سره وتلامذته، أن كلتي مقدمتي الدليل ضعيفتان، ولا أساس لهما، وذلك للتالي:

أ ـ هناك الكثير من الحاجات الإنسانية التي تكون ثابتة في الأصل وإن برزت بعدة أشكال في الأماكن والأزمان المختلفة، وكمثال على ذلك هناك العديد من العقود في مجال العلاقات القانونية والإقتصادية التي كانت في الماضي، من قبيل: البيع، والإجارة، والشراكة، واليوم أخذت هذه العقود أشكالا وقوالب مختلفة، وصارت تصاغ العلاقات

القانونية والمعاملات في أنماط معقدة، ولكنها ما زالت تعتبر هي نفسها من الجهة القانونية، فالبيع هو البيع والإجارة والشراكة كذلك.

ويجيب الإمام الخميني قدس سره هذه المجموعة في وصيته السياسية الإلهية، حيث كتب:

المجموعة الأولى هم الذين يقولون: إن أحكام الإسلام وضعت لزمن مضى منذ ألف وأربعماية عام، ولا يمكنها أن تدير البلدان في العصر الحاضر، وهم من نعتبرهم بحاجة إلى الإطلاع على الحكومة والقانون والسياسة، أو أنهم يلبسون لباس الجاهل لأغراض ما؛ لأن هناك مسائل كانت موجودة على مدى تاريخ البشر والحياة الإجتماعية وليست مما يصبح بالياً بمرور الزمن، كإجراء القوانين وفق ما تقتضيه معايير القسط والعدل، وكالوقوف بوجه الظالمين والحكومة الجائرة، وبسط العدالة الفردية والإجتماعية، ومنع الفساد والفحشاء وأصناف الإنحراف، وتوفير الحرية القائمة على أساس العقل، والعدل، والإستقلال، والإكتفاء الذاتي، والحذر من الإستعمار والإستغلال والإستعباد، وإجراء الحدود والقصاص والتعزيرات بشكل عادل، اجتنابا للوقوع في الفساد وهلاك المجتمع، وسياسة المجتمع وقيادته بما يوافق موازين العقل والعدل والإنصاف، وغيرها من مئات المسائل. وهذا الكلام بمنزلة القول أن القواعد العقلية والرياضية يجب أن تتغير في القرن الحالي، وأن نأتي بغيرها. إذا كانت العدالة الإجتماعية، ومحاربة السرقة والقتل والظلم، أمور كان لا بد من إجرائها منذ بداية الخلقة،فاليومنحنفيعصرالذرة،وهذه من الأسلوب القديم؛ إن الإدعاء

بأن الإسلام يخالف التطور، كما كان محمد رضا پهلوي المخلوع يقول: «إن هؤلاء يريدون أن يسافروا في هذا العصر على الدواب» ليس سوى اتهام أبله[١].

لقد تطرأ الإمام الخميني قدس سره في الأدلة المذكورة في كلامه إلى المعنى الصحيح للحضارة والحداثة، وأعلن أن الإسلام وتعاليمه متوافقان معهما بهذا المعنى.

ب ـ إن الإدعاء بأن التعاليم الدينية ثابتة، ليست مرنة أو قابلة للتغير هو ادعاء باطل؛ لأن هناك عناصر في الدين تقبل المرونة في بعض الموارد، مما يؤدي إلى موافقتها لاحتياجات ومتطلبات الزمان، كإمكانية الإجتهاد في الإسلام، وما يلعبه الزمان والمكان من دور في الإجتهاد، وخيارات الحاكم الإسلامي والحكم الحكومي، والقوانين الثانوية، وقاعدة الأهم والمهم، وتقدم الأهم على المهم، و... غيرها من العوامل التي تعطي التعاليم الإسلامية أهلية التعامل مع الظروف والحالات المختلفة والجديدة.

وفي ظل هذه العناصر الديناميكية والمنتجة، تستطيع الحكومة الإسلامية أن تقدم الحل في كل واحدة من المسائل المستحدثة إجتماعية كانت أم سياسية، أم إقتصادية، مستعينة بالأصول والمباني الفقهية.

إضافة إلى أنه ليس المقصود من دخالة الدين في كل شؤون البشر الدنيوية كالحكومة والسياسة أنه يحتوي على حكما ما لكل مسألة جزئية،

---

(١) صحيفة النور، ج٢١، ص ٧٠ ـ ٧١/ ١٨٥.

بل المقصود هو أن الإسلام لديه أصول يمكن أن يستنبط منها كل المسائل الجزئية التي يُحتاج إليها.

فعلى سبيل المثال: السرقة، الفساد، ظلم الآخرين، وغيرها... هي من الظواهر الإجتماعية التي أخذت أشكالا متعددة في عصرنا الحالي، بحيث لا يمكن مقارنتها بما كان في الأيام السابقة، سواء من حيث الأسلوب، أم من حيث النوع والكيفية، ولكن مع ذلك، فإن لهذه الأشياء وجه ثابت، وهو تجاوز اليد لحدود وحقوق الآخرين، وهذا أمر لا يتغير. فالمطلوب إذن هو بيان الحكم الكلي، وقد تولى الله عز وجل هذا الأمر، أما تطبيق الحكم الإلهي الكلي على الأحكام الجزئية فهو وظيفة الفقهاء وعلماء الإسلام، والشعب، والحكام، والقوة التنفيذيّة للقانون.

وفي النتيجة، لا يمكن الدوس على أحكام الشريعة الإسلامية، أو اعتبارها مختصة بمرحلة صدر الإسلام وما يشبهها من مجتمعات، بحجة التغير الحاصل في الإحتياجات، كما يقول العلمانيون وأتباعهم.

هذا وما يثير العجب هو أن البعض من أصحاب الفكر الساذج يقولون: إن لجوء الإمام الراحل قدس سره إلى حكم المصلحة في الأحكام الحكومتيّة هو نفسه الفصل البنيوي للمؤسسة الدينية عن الحكومة، وعلمنةٌ لها، حيث أن عنصر المصلحة يعتبر أمرا خارج نطاق الدين. وهكذا كلما استفدنا من عنصر المصلحة، ابتعدنا عن الدين والشريعة بنفس المقدار[1].

---

(١) مجلة (كيان)، العدد٢٤، ص٥٨، مقالة: فرايند عرفي شدن در فقه شيعه (عملية العلمنة في الفقه الشيعي).

لقد أثبتنا في مقالة مستقلة في السابق أن المصلحة هي عنصر أصيل له جذوره في الدين، وهو نابع من قلبه، وليس بالشيء الذي ابتكره الإمام الخميني قدس سره وأدخله على الفكر السياسي الإسلامي، بسبب النقص الحاصل في الفقه[1].

ج ـ إنكار فصل الدين عن السياسة في زمن حضور الإمام عليه السلام:

هناك البعض ممن أقر بالعلاقة الموجودة بين الدين والسياسة، لكنه اعتبر هذه العلاقة مختصة بالزمن الذي يكون المعصومون عليهم السلام حاضرين فيه، وهم يعتقدون أنه من غير الجائز إقامة الحكومة الإسلامية في زمن الغيبة؛ وبما أن هذا الفكر لم يكن يتعارض مع الحكام الظالمين، بل كان يبرر أفعالهم بطريق غير مباشر، فقد كانوا يدعمونه ويلاقي رواجا، حتى أن مؤيدو هذا الفكر كانوا قد اتخذوا موقف المخالف قبيل الثورة الإسلامية، وشرعوا ببث روح اللامبالاة، والسكوت، وقبول الظلم بين مريدي طريق الإمام الخميني قدس سره والمناضلين لأجلها.

وقد ذكر الإمام الخميني قدس سره في كتاب (الحكومة الإسلامية) إشارات دقيقة وعميقة حول هذا الفكر وآثاره المضرة، وذلك ضمن الأدلة التي ساقها على ولاية الفقيه:

«إن الإعتقاد بهذه الأمور أو إظهارها لهو أمر أسوأ من القول بأن الإسلام نسخ.

---

(١) مجلة «حوزه» (الحوزة)، الأعداد: ٨٥ ـ ٨٦؛ «مصلحت نظام از ديدطاه إمام خميني» (مقالة مصلحة النظام كما يراها الإمام الخميني قدس سره).

لا أحد يمكنه القول: إنه من الآن فصاعدا ليس من الضروري الدفاع عن حدود وثغور وكل أراضي الوطن الإسلامي، أو أن يقول لا يجب أخذ الضرائب والجزية والخراج والخمس والزكاة، أو إنه يجب تعطيل قانون الجزاء الإسلامي، والديات والقصاص. إن كل من يصرح بأنه ليس هناك من ضرورة لإقامة الحكومة الإسلامية فهو منكر لضرورة إجراء الأحكام الإسلامية، ومنكر لجامعية وخلود الدين الإسلامي المبين»[١]. وبما أننا تصدينا فيما مضى لبيان هذه الرؤية ونقد أصولها في مقالة مستقلة[٢]، فسوف نكتفي بهذا المقدار.

سيرة الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام

عندما ننظر إلى التاريخ وإلى آيات القرآن، نرى أن الأنبياء الإلهيين كان لهم نشاط سياسي أكثر من غيرهم، بحيث كانوا يتعرضون لمعاداة وحقد الملوك وأصحاب الدنيا. إن مواجهة إبراهيم عليه السلام للنمرود، وموسى عليه السلام لفرعون وقارون، وثورة النبي عيسى عليه السلام على قادة اليهود والحكومة التابعة، التي قامت بالملاحقة والإعتقال، وحاكمت النبي عليه السلام في فلسطين، ثم نهضة نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وتبليغه الدعوة إلى القوى العظمى في ذلك الزمن، هذه كلها أدلة على أن الأنبياء لم يقتصروا على العمل في السياسة والحكومة فحسب، بل نهضوا لمكافحة كل الطواغيت، ولم يهدؤا حتى تمكنوا من إسقاطهم[٣].

---

(١) ولاية الفقيه، ص ١٩ ـ ٢٠.

(٢) مجلة (حوزه)، الأعداد ٧٠ ـ ٧١/ ص١٨٥.

(٣) صحيفة النور، ج٢١، ص ١٧٨.

لقد ذكر القرآن الكريم أن إقرار العدل والقسط في المجتمع البشري من أهداف الأنبياء الإلهيين:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

إن الإعتماد على الحديد كعنوان لأحد عناصر القوة، هو تبيان للموانع الموجودة في طريق تكامل المجتمع الإسلامي والإنساني وتعاليه.

ولهذا كان الأنبياء يحدثون تغيرا عظيما في المجتمع لإنقاذ الناس، وبسط العدالة الإجتماعية، كي يقتلعوا جذور الإضطراب، ويخرجوا الدنيا لنا بحلة جديدة.

ومن البديهي أن يهبَّ الظالمون لمواجهة هذا التغير الذي يزلزل أركان حكمهم.

وهنا بعد أن يعرض النبيون العلامات الواضحات، ويعطوا المعايير التي يبنى على أساسها المجتمع والحكومة الإلهية، تظهر الحاجة إلى الحديد والحركات المسلحة:

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ﴾[2].

يقول الإمام الخميني قدس سره في تفسير آية ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ كلاما،

---

(١) سورة الحديد، الآية ٢٥.
(٢) سورة آل عمران، الآية ١٤٦.

نذكره هنا باختصار: «لقد جاء كل الأنبياء منذ آدم عليه السلام إلى الخاتم صلى الله عليه وآله وسلم، لإصلاح المجتمع وقد بذلوا الجهود الكثيرة في سبيل هذا الهدف، وقد اعتبرت الآيةُ الشريفةُ أن نشر العدالة الإجتماعيّة بين الناس هو أحد أهداف الأنبياء؛ ووجه المناسبة بين الحديد والعدالة الإجتماعية هي أن: الأنبياء عليهم أن يبدأوا دعوتهم، فإذا ما اعترض أحد ما طريقهم إلى تحقيق أهدافهم، فلا بد أن يلجأوا إلى الحوار مع هؤلاء مستعينين بالبينات ووفقاً للموازين، فإذا لم يستمعوا، وجب عندها أن يواجهوهم بالحديد.

وقد كان الأنبياء كلهم هكذا؛ لقد أرسل الله موسى عليه السلام إلى فرعون لكي يكلمه بكلام ليّن، وعندما لم تؤثّر هذه الكلمات فيه لجأ إلى الثورة. هل من الممكن القول أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يرد شيئا من المجتمع؟ لكن أي يوم من أيامه صلى الله عليه وآله وسلم كان خاليا من المسائل السياسية؟ لقد أسّس الدولة، وحارب أعداء الإسلام والناس.

إن التدخل في السياسة موضوع على رأس لائحة تعليمات الأنبياء، إذ أنه هل يمكن القيام بالقسط بدون المشاركة في العمل السياسي؟»[1].

من الواضح أنه لولا امتلاك الأنبياء للفكر الذي يحطم سلاسل الظالمين، وينقذ البشر من الأنظمة الشيطانية لما كان هناك حاجة إلى السيف أو القوى المسلحة، أو إلى الكفاح والقتال. ما هو الضرر اللاحق بالحكام الظالمين والمفسدين والذي يبعثهم على الحيلولة

---

(١) صحيفة النور، ج١٥/ ص١٤٦.

دون انتشار هذه العلوم الدينية إذا تم تبليغها في المجتمع دون أن تطبق عليهم؟ إذا كان الحكم بيد الظالمين فما المشكلة في موعظة مؤلفة من عدة جمل وخالية من أي اشتباك؟ ما هو الأثر الحاصل الذي سيجبرهم على المواجهة؟

ومختار الكلام هو: أن التدقيق في أهداف الأنبياء الإلهيين وأسلوب تعاطيهم مع القوى الموجودة في زمانهم، تشير إلى انخراط هؤلاء العظماء في العمل السياسي، وأنهم قد كانوا أصحاب مساع واسعة النطاق، وعميقة، ومنبعثة في كل الإتجاهات وذلك من أجل إقامة الحكومة الإلهية. وليس هناك أدنى شك أن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله شكّل الحكومة، فقد كان هذا أول أعماله صلى الله عليه وآله بعد هجرته إلى المدينة.

وقد جعل النبي صلى الله عليه وآله المسجد مقراً إسلاميّا، ومركزاً لإدارة المسائل السياسية والإجتماعية، وأخذ على عاتقه تنفيذ المهام الملحّة بصفته القائد الديني السياسي، وأوفد المبعوثين إلى المناطق الأخرى، ولم يغفل ولو للحظة عن قيادة الناس ومتابعة أمور المجتمع والنظام.

وقد قدم الإمام الخميني قدس سره شرحا حول هذه النقطة، نذكره باختصار:

«لقد طرح المستعمرون فكرة فصل الدين عن السياسة لكي يتوصّلوا إلى عزل علماء الدين. وقد بذل المنقادون للإستعمار وعلماء البلاط جهودهم لتبليغ هذه الفكرة.

إن الإستنادا إلى منطق هذه الطائفة القائل بأنه: يجب أن لا يتدخل

المسلم في السياسة؛ يورد إشكالاً على رسول الإسلام ﷺ، إذ أنه ﷺ هو من ثبّت دعائم السياسة في الدين؛ فهو من شكّل الحكومة، وأنشأ المراكز السياسية. أما هؤلاء العلماء البلاطيون فعليهم إما أن يطردوا الرسول الأكرم ﷺ وخلفاء الإسلام، وأن يقولوا أن هؤلاء ليسوا بمسلمين لأنهم عملوا في السياسة، أو أنهم يجب أن يخطّئوا حكوماتهم وأنفسهم»[١].

وهناك البعض من المفكّرين الدينيين الذين كانوا يظنون بسبب تأثرهم بأبحاث المفكرين الغربيين أن: الهدف من بعثة الأنبياء هو الله والآخرة فقط، ولم يكن للأنبياء أي علاقة بالحكومة والسياسة، فإذا رأيتم أن نبي الإسلام ﷺ قد شكّل الحكومة، فهو قد فعل هذا كواحد من الناس، بناءا على طلب الناس منه وبيعتهم له، وإلا فإن الإسلام لم يرد فيه أي دستور يتعلق بالحكومة! ومن جملة هؤلاء علي عبد الرزاق من السنة، والدكتور مهدي الحائري والمهندس بازرگان.

ونحن قد أثبتنا هنا إستنادا إلى الآيات والروايات أن الأنبياء قد جاؤا من أجل تشكيل الحكومة، وأن منصبي الحكم والقضاء هما من الإمتيازات الدينية التي خص الله النبي ﷺ بها[٢]**. وهذا يعني أن الله جعل النبي ﷺ إماماً وقائدا للمسلمين وأمرهم باتباعه ﷺ.**

---

(١) صحيفة النور، ج١٧، ص١٣٨.

(٢) مجلة (حوزه)، العدد ٩١/ ص ٢٢٤، مقالة: «قلمرو اجتماعي دين از ديدگاه شهيد مطهرى» (منطقة النفوذ الإجتماعية للدين في رؤية الشهيد مطهري).

وقد اختار الرسولُ صلى الله عليه وآله الأئمةَ عليهم السلام لهذا المنصب بأمر من الله. ولذلك يمكن القول إن: الإمامة في الثقافة الشيعية هي تجسيد لفلسفة الإسلام السياسية، كما نجد في هذه الثقافة أن الإمامة هي المثل الأعلى للقيادة، وهي حاكمية نابعة من أصل الإسلام.

والإمام الخميني قدس سره يشير في ذيل هذه الآية الشريفة ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ إلى هذه النكتة[١]، ويعطي جوابا إستدلاليا واضحا عن الشبهة القائلة بأنْ ليس للدين أو الرسول صلى الله عليه وآله دور في إدارة حياة الناس، وأن دورهما يقتصر على الأمور المتعلقة بالآخرة[٢].

ويرى الشيعة أن الأئمة المعصومين عليهم السلام يحملون على عاتقهم نفس الرسالة التي حملها النبي صلى الله عليه وآله، بما هم سالكون طريق الرسول صلى الله عليه وآله ومُمدّين لها بالإستمرارية، والرسالة هي: إجراء قوانين وأوامر الإسلام، وإقامة حكومة القسط والعدل[٣].

ويقول الإمام الخميني قدس سره: «لم يكن في نية الأنبياء وأهل البيت عليهم السلام أن يعتزلوا الناس، فهم كانوا مع الناس، وكانوا يتسلمون زمام الحكم كلما سنحت لهم الفرصة»[٤]. فالإمام علي عليه السلام على سبيل المثال شكّل الحكومة وبعث عمّالاً له لإدارة الأمور السياسية والقضائية

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٦٠.
(٢) صحيفه نور، ج٢١، ص ١٧٨.
(٣) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٣٨.
(٤) صحيفه نور، ج ١٩، ص ١١٨.

والإقتصادية إلى أماكن عديدة في البلاد الإسلامية[١]. ثم جاء الإمام الحسن عليه السلام، من بعد الإمام علي عليه السلام، وتسلم الحكم، ولكنه اضطر إلى عقد الصلح بسبب بعض الوقائع والظروف الخاصة التي فرضت نفسها. ولكنه في نفس الوقت وضع قيداً في نفس ذلك الصلح الذي عقده مع معاوية يفرض بأن: ينتقل الحكم من بعد معاوية إلي الإمام الحسن عليه السلام[٢].

أما الإمام الحسين عليه السلام فقد ثار هو أيضا من أجل تغيير حكومة الباطل، وتكريس حكم الحق:

«عندما يرى سيد الشهداء عليه السلام أن هناك حاكم ظالم جائر يحكم الناس، يصرح قائلا أنه من رأى منكم حاكما جائرا متسلطا على الناس، ظالما لهم، يجب عليه أن يقف في وجهه، وأن يمنعه على قدر المستطاع، وعلى الرغم من أن الذين كانوا معه كانوا أفرادا قليلين لكن التكليف أتى بأن يثور ويقدم دماءه لكي يصلح هذه الأمة وينكّس راية يزيد، وهذا ما فعله عليه السلام»[٣].

وهناك الكثير من الإشارات في حياة الأئمة المعصومين عليهم السلام من بعد الحسين عليه السلام، التي تدل على ما بذلوه من جهود طالبين بذلك التوصل إلى السيطرة على القرار السياسي.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص٢٠.

(٢) (صلح إمام حسن)، الشيخ راضي آل ياسين، ترجمة السيد علي الخامنئي، ص ٣٥٦، آسيا.

(٣) صحيفه نور، ج ٢، ص ٢٠٨.

الإجابة على أحد العقائد:

يعتقد البعض أن: الأئمة المعصومين عليهم السلام كانوا في الغالب يتجنبون الخوض في الأمور السياسية والإجتماعية، ولم يعتبروا أنفسهم أصحاب رسالة في الحياة في هذين المجالين، ولم يدعوا السلطة والحكومة أو يطلبوها، وإذا كانوا قد اصطدموا أحيانا ببعض الحكّام، فإن ذلك لم يكن لأجل إقامة الحكومة بل بسبب تعرّض هؤلاء الحكام لهم شخصيا.

و بعد أن توصل أحد السذّج من أتباع هذه العقيدة إلى أن النبوة والحكومة لا يتوالفان كتب يقول[1]:

«لم يقم علي عليه السلام بأي عمل من أجل تسلّم الحكم بعد النبي صلى الله عليه وآله، وحتى عندما بايعه الناس بعد قتل الخليفة الثالث، طلب منهم أن يعفوه وأن يفتشوا عن قائد غيره، أما الإمام الحسن عليه السلام فقد عقد الصلح مع معاوية بشكل واضح وأوكل أمر الحكومة إليه. لو كان الإمام علي أو الإمام الحسن عليهما السلام يعتبران أن الحكومة مهمّة إلهية أو نبوية لما سمحوا لأنفسهم بالقيام بهكذا عمل.

أما بالنسبة للتحرك الذي قام به الإمام الحسين عليه السلام فقد كان إجراءً دفاعيا وعملا ديمقراطيا مئة بالمئة. أضف إلى ذلك أن الإمام الصادق عليه السلام عندما تسلّم رسالة أبو مسلم الخراساني التي سأل فيها الإمام عليه السلام أن يطلب البيعة لنفسه كي يستلم الحكم، فرفض الإمام الصادق عليه السلام ذلك.

---

(١) مجلة (كيان)، العدد ٢٨، ص ٦٥.

وكذلك الإمام الرضا عليه السلام فإنه لم يقبل الحكومة، وكان المأمون قد أجبره على قبول ولاية العهد»[1].

أما الجواب على هذا الكلام فواضح جداً، وسيعلم جيدا كل من له أدنى مطالعة في تاريخ الإسلام لماذا قال الأمير عليه السلام «دعوني»، ولماذا صالَحَ الإمام الحسن عليه السلام، ثم إنه ما هو السبب الكامن وراء قطع الإمام الحسين عليه السلام لكل هذه الفراسخ إذا كان هدفه دفاعيّ؟ ولماذا لم ينهض للدفاع في المدينة أو في مكة؟ ولماذا إذن ذهب إلى الصحراء الجافة المحرقة، ودافع هناك؟ ولماذا قابل الإمام الصادق عليه السلام رسالة أبي مسلم الخراساني بالرفض؟ ولمَ رفض الإمام الرضا عليه السلام ولاية العهد من المأمون؟ هذا ما سنتعرض للإجابة عنه بالطبع إنما باختصار، ولكن قبل ذلك نطالع صفحةً من وصية الإمام الخميني قدس سره ؛ والجميل أنه قدس سره تعرض لأصل الشبهة، وأعطى حلّها، وذكر الإرتدادات السلبية لهكذا نوع من التفكير:

«وأما ما قيل وما يقال من أن مهمة الأنبياء عليهم السلام هي المعنويات، وأن الحكومة وفن الإدارة من الدنيا المذمومة، وأن الأنبياء والأولياء والعظماء كانوا يجتنبونها، ونحن يجب أن نكون كذلك، فهو خطأ مؤسف، وقد جرّت نتائجه الشعوب الإسلامية إلى الدمار، وفتحت الطريق أمام المستعمرين مصاصي الدماء... فالمرفوض هو الحكومات الشيطانية والديكتاتورية والظلم، حيث إن ذلك يكون بهدف

---

(١) «آخرت وخدا هدف بعثت أنبياء» (هدف بعثة الأنبياء: الآخرة والله)، بازرگان، ص ٤٢ ـ ٤٣.

التسلط، والدوافع المنحرفة والدنيوية التي حذر منها الأنبياء، وهي جمع الثروة والمال وحب السيطرة والطغيان ـ وفي نهاية المطاف ـ الدنيا التي تسبب غفلة الإنسان عن الله تعالى. أما حكومة الحق التي لصالح المستضعفين، والحيلولة دون الظلم والجور، وتحقيق العدالة الاجتماعية كما فعل سليمان ابن داوود عليه السلام ونبي الإسلام العظيم الشأن صلى الله عليه وآله وأوصياؤه العظام عليهم السلام، فإنها من أعظم الواجبات، وإقامتها من أسمى العبادات، كما أن السياسة السليمة التي كانت في هذه الحكومات هي من الأمور اللازمة. يجب أن يجهض ـ شعب إيران اليقظ والواعي ـ هذه المؤامرات بالرؤية الإسلامية، ولينهض الخطباء والكتاب الملتزمون لمؤازرة الشعب ليقطعوا أيدي الشياطين المتآمرين»[1]. إن ما يسقط هذه الشبهات هو أن هؤلاء المدّعون قد عملوا بأسلوب انتقائي لإثبات مدّعاهم، فأشاروا إلى مشاهد متقطعة من التاريخ، وخرجوا بنتيجة يعوزها تحليل ظروف الزمان والمكان.

الإمام علي عليه السلام والحكومة

أما القول بأن الإمام علي عليه السلام لم يكن يسعى أبدا لتسلّم الحكم فهو كلام واهٍ لا دليل عليه؛ لأن سلوك وكلمات ذلك الإمام العظيم تدل على عكس ما ذكر. فقد كان الإمام عليه السلام يسعى للسيطرة على الحكومة، حتى اتهمه البعض بالطمع في السلطة، وقد أجابهم عليه السلام قائلا: «إنما طلبت حقاً لي وأنتم تحولون بيني وبينه»[2].

---

(١) صحيفة النور، ج ٢١، ١٧٨.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٧١، فيض الإسلام.

لقد كان الإمام علي عليه السلام يخرج في سواد الليل للحصول على حقه، مصطحبا فاطمة عليها السلام والحسن والحسين عليهما السلام، ويدور على بيوت الأنصار يطلب منهم أن يساعدوه للوصول إلى الحكم.

ولكن لم يستجب له إلا القليل للأسف، متذرعين بأنه قد فات الأوان[١].

وعليه، إذا كان المقصود أن الإمام عليه السلام لم يسع لتسلّم الحكم في الفترة الأولى فهذا مخالف لسلوكه وكلماته، وإذا كان المقصود السكوت، وعدم مواجهة الخلفاء، فهذا صحيح إلى حد ما، إذ أنه عندما رأى عليه السلام أنه لم تكن الأرضية جاهزة لإقامة حكومة الحق، وأنه من مصلحة الإسلام والمسلمين من جهة أخرى أن يسكت، وأن يتعاون معهم حتى، فقد التزم السكوت لفترة، ولكنه كان كثيرا ما يعطيهم الأدلة الواضحة على أنه هو الحكومة الحقة، وأن الآخرين تلقفوا الحكم بالقوة[٢]. وهكذا يظهر خطأ ما كتبه هذا الكاتب الآنف الذكر من أن الإمام عليه السلام امتنع عن قبول الحكومة، ثم استدل بجملة قالها الأمير عليه السلام «دعوني والتمسوا غيري»[٣].

لقد أراد الإمام عليه السلام بالجملة المذكورة أن يعلن شروطه، وأن يتم

---

(١) بحار النوار، ج ٢٩، ص ٤١٩، دار الرضا، بيروت؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: ج٢، ص ٤٧، وج١١ ص ١١٤.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٢، ٣، ٦، ص ١٧١؛ شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد، ج ١، ص ٣٠٧.

(٣) المصدر السابق، الخطبة ٩١.

الحجة على مريديه[١]. وقد نقل عن ابن أبي الحديد أنه يقال إن مجموعة من الناس جاءت إلى الإمام علي عليه السلام بعد مقتل عثمان وطرحوا عليه البيعة والخلافة، بشرط ان يحكم على كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وآله، والخلفاء السابقين (وهي نفس الشروط التي عرضوها عليه في شورى الستة)، ولم يوافق الإمام عليه السلام على شرطهم هذا؛ إذ أنه عليه السلام يعتقد ببطلانه.

أما ما نقل عنه عليه السلام من قوله «دعوني والتمسوا غيري» فهو جواب على طرح هذه المجموعة. وعلى هذا لا يكون الإمام عليه السلام قد رفض تسلم الحكم، بل امتنع عن تسلم الحكومة المشروطة بالعمل بسيرة الخلفاء السابقين.

وهناك بعض الشواهد في هذه الخطبة، المؤيدة لما يقوله إبن أبي الحديد. يقول الإمام عليه السلام بعد الشاهد المذكور:

«واعلموا أني إن أجبتكم ركبت بكم ما أعلم، ولم أصغ إلى قول القائل وعتب العاتب»[٢].

صلح الإمام الحسن عليه السلام

لقد اضطر الإمام الحسن عليه السلام إلى عقد الصلح مع معاوية وتسليم السلطة إليه.

وقد أجاب الإمام عليه السلام أحد أصحابه المعترضين على تسليمه الحكم لمعاوية، فقال:

---

(١) «امامت ورهبرى» (الإمامة والقيادة)، الشهيد مطهري، ١٤٠ ـ ١٤١.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٩١.

«والله ما سلمت الأمر إليه إلا أني لم أجد أنصارا، ولو وجدت أنصارا لقاتلته ليلي ونهاري حتى يحكم الله بيني وبينه»[١].

لقد استند الإمام الحسن عليه السلام في هذا الجواب إلى فقدان الناصر، وفي غيره من الأجوبة ذكر أنه فعل ذلك من أجل مصلحة الناس، وحقنا للدماء التي كانت ستسفك بلا طائل، وهذا ما يمكن تلقي بعض الإشارات عليه من المادة الثانية المثبتة في الصلح، من أنه في حالة موت معاوية يعود الحكم إلى الحسن أو الحسين عليهما السلام[٢]. فلو لم يعتبر الإمام الحسن عليه السلام أن الحكم من حقه، ومن بعده حقا للإمام الحسين عليه السلام، لما كان هناك من داع لذكر هذا الشرط. أضف إلى ذلك أنه في كثير من الموارد كان عليه السلام يصرح بأن الحكم من حقه وأن معاوية غاصب لهذا الحق[٣]. أما بالنسبة للذي كتب أن: ثورة الإمام الحسين عليه السلام كانت مجرد عمل ديمقراطي، واستجابة لأهل الكوفة، وبالتالي فإن ثورة الإمام الحسين ونهضته لم تكن وظيفة شرعية أو سلوكا دينياً، فهو يعني بذلك أنه لو لم يدعُ الناسُ الإمامَ عليه السلام لما كانت قضية كربلاء وعاشوراء مشروعة.

ولكن نستطيع أن نكتشف من خلال نظرة سريعة إلى التاريخ أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام وثورته بدأت قبل دعوة أهل الكوفة له، ولكن عندما رأى أهل الكوفة أن الإمام الحسين عليه السلام لم يعترف بيزيد حاكماً،

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٤٧.
(٢) صلح الإمام الحسن عليه السلام، الشيخ راضي آل ياسين.
(٣) بحار الأنوار، ج ٤٤، ص ٢٢.

وأنه عليه السلام ترك المدينة اعتراضاً، قاموا بدعوته إلى الكوفة ليأتي ويؤسس فيها حكومة، فيكونون عندها إلى جانبه.

والأمر كما يقول الإمام الحسين عليه السلام، من أن الهدف من نهضته هو إصلاح الأمة الإسلامية والقيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1]، وقد شرح الإمام الخميني نهضة عاشوراء، وأهداف قائدها في موارد عديدة، وقد استند في بعضها إلى كلمات نفس الإمام الحسين عليه السلام، حيث ذكر إن: الإمام الحسين عليه السلام قام من أجل إصلاح أمور الأمة، وتشكيل الحكومة الإسلامية، وصنع نهضة عاشوراء. وعليه، فالإمام الخميني قدس سره يرى أن نهضة الإمام الحسين عليه السلام كانت نهضة دينية، شرعية، وتأدية للوظيفة الدينية.

لقد ذكر الإمام الحسين عليه السلام في كثير من الروايات أن الحكم من حقه وحق الأئمة من بعده، وأكد على هذا الأمر، وكمثال على ذلك نذكر ما قاله عليه السلام:

«مجاري الأمور والأحكام على أيدي العلماء بالله الأمناء على حلاله وحرامه»[2].

فالإمام الحسين عليه السلام يقول ـ كما هو ظاهر من هذه الكلمات ـ أن علماء الدين هم المشرفون على إجراء أحكام الشريعة.

ولكن هل المقصود من «العلماء بالله» الأئمة المعصومون فقط؟ أم

---

(١) مقتل الخوارزمي،ج١، ص١٨٨؛ تاريخ الأمم والملوك، الطبري،ج٤،٢٦٦.

(٢) تحف العقول، إبن شعبة، ٢٧١. مؤسسة الأعلمي، بيروت؛ ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٩٦ ـ ٩٧.

أن هذا يشمل الفقهاء الجامعين للشرائط في عصر الغيبة أيضا؟ هذا ليس محل بحثنا. ولكن على كل حال، فالحديث يردّ ادعاءهم؛ لأن الإمام الحسين عليه السلام اعتبر في هذا الكلام أن الحكومة من حق العلماء.

وقد شرح الإمام الخميني قدس سره هذه الرواية في كتابه «ولاية الفقيه»، حيث يكتب:

«يمكن أن نستنتج مطلبين مهمّين من هذه الرواية:

الأول ولاية الفقيه.

والثاني أنّ الفقهاء يجب أن يتوصلوا بجهادهم وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر إلى معاقبة الحاكم الجائر وزلزلته، ويجب أن يوقظوا الشعب لكي تتمكن النهضة العامة للمسلمين الواعين من قلب حكومة الجور، وإنشاء الحكومة الإسلامية»[١]. عندما طُلب من الإمام الحسين عليه السلام أن يبايع يزيد أجاب قائلا: «إني لا أبايع له أبدا لأن الأمر إنما كان لي من بعد أخي الحسن»[٢].

وقد نقل الحسين عليه السلام قول نبي الإسلام صلى الله عليه وآله لجيش العدو عندما وقف بوجههم في كربلاء:

أيها الناس، إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من رأى منكم سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله ناكثا لعهد الله مخالفا لسنة رسول الله صلى الله عليه وآله يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان فلم يغير عليه بفعل ولا قول كان حقا على الله أن يدخله مدخله.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٩٥.
(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص ٢٧٨.

وبعد أن يبين الإمام الحسين عليه السلام فساد الجهاز الحاكم، يصرح قائلا «أنا أحق من غيري في تغيير الوضع الراهن، أنتم أيضا يجب عليكم أن تتبعوا منهجي في مكافحة الظلم، إن لكم فيّ أسوة»[١].

وبناءً على الرواية المذكورة يعتبر الإمام الخميني قدس سره أن محاربة الظلم، وتأسيس الحكومة الإسلامية هما من أهداف الإمام الحسين عليه السلام في نهضة عاشوراء[٢]. وبناءً عليه، لم تكن حركة الإمام الحسين عليه السلام مجرد عمل ديموقراطي، أو صرف دفاع عن النفس والعرض، بل كانت حركة دينية، من أجل محاربة الظلم ونكس حكومة يزيد والسعي لإقامة الحكومة الإسلامية.

الإمام الصادق عليه السلام ورفض عرض أبي مسلم الخراساني:

لا يمكننا الإستدلال بأي وجه بمسألة رفض الإمام الصادق عليه السلام لطلب أبي مسلم الخراساني على أنه رفض لتسلم الحكم، لأن:

أولا: الإمام الصادق عليه السلام لم ير الظروف مؤاتية للكفاح المسلح، ورواية سدير خير دليل على هذا الأمر.

عندما يعترض سدير على الإمام الصادق عليه السلام بأنه لماذا لا تنهض؟ يجيبه الإمام عليه السلام بأن الظروف غير مؤاتية وأنه ليس له أصحاب يعينونه على هذا الأمر[٣].

---

(١) هذا مضمون كلام الإمام الحسين عليه السلام: تاريخ الأمم والملوك (تاريخ الطبري)، ج:٤ ، ص: ٣٠٤.
(٢) صحيفه نور، ج ٢، ص ٢٠٨.
(٣) أصول الكافي، ج٢، ص ٢٤٢.

ثانيا: كان الإمام الصادق(عليه السلام) يعلم أن أبا مسلم الخراساني كما أبو مسلمة، لم يكن صادقا في دعوته، ولم يكن مع الإمام(عليه السلام)، بل كان يريد أن يستغل وجاهته ومقامه ونفوذه من أجل الوصول إلى أمانيه، ولكي يستفيد هو. ثم إن أبا مسلم الخراساني، وإن كان في الظاهر قد كتب رسالة إلى الإمام الصادق(عليه السلام) إلا أنه مرتبط ببني العباس وواحد من رجالهم. وكان قد أرسله إبراهيم العباسي بداية إلى خراسان، وبعد أن توفي الأخير أصبح من المروّجين لأخيه السفّاح، حيث كان أبو مسلم محترما في زمانه.

وجاء من بعده المنصور العباسي، الذي خاف من قدرته فقتله. وعلى هذا، فالإمام لم يقبل دعوته لأنه كان عالما بما ينويه، أضف إلى ذلك أنه (عليه السلام) كان يعلم بالرسالة التي تسلّمها عبد الله من أبي مسلم أيضا، ولم تنطل خدعته عليه (عليه السلام)، وقال (عليه السلام) له: «هذا وإخوته وأبناؤه دونك» بعد أن ضرب على كتف أبي العباس السفّاح، وأنهم لن يعطوا الحكم لأبناء الحسن أو الحسين عليهما السلام، ولكن بدلا من أن يتعظ عبد الله بنصيحة الإمام (عليه السلام) اتّهمه بالحسد[1]. وفي النهاية كان مصير عبد الله وأعوانه إما القتل أو السجن على يد السفّاح.

الإمام الرضا(عليه السلام) وإعراضه عن ولاية العهد:

لماذا رفض الإمام الرضا(عليه السلام) في البداية الخلافة أو ولاية عهد المأمون؟ هل كان المأمون صادقاً في توكيل أمر الحكم إلى الإمام(عليه السلام)، أم أنه كان يرسم لأهداف سياسية أخرى؟ ألم يكن المأمون يهدف من

(١) بحار الأنوار، ج٤٧، ص ١٣٢.

وراء ذلك إلى استقطاب الإيرانيين أو التخلص من الثورات العلويّة؟ ألم يرد المأمون من وراء ذلك أن يمنح الشرعيّة لحكمه؟

يعتقد الباحثون أن المأمون لم يكن صادقا في توليته أمر الخلافة و ولاية العهد، بل كان يتحرك على أساس دوافع سياسية أخرى، من قبيل: استقطاب الإيرانيين، إحباط الثورات والحركات العلويّة، وإعطاء الغطاء الشرعي لحكمه، مما أجبره على اللجوء إلى هذه الحيلة. لذلك امتنع الإمام عليه السلام عن قبول هذا العرض؛ لكن لم يكن السبب في امتناعه أنه لا يعتبر الحكم حقه عليه السلام الشرعي والإلهي، كما ظنّ بعض السادة، بل العكس تماما. ولو أنه قبل عليه السلام بما عرضه المأمون لكان تأييدا له واعترافا رسميّاً منه عليه السلام به.

وقد بين الإمام عليه السلام للمأمون سبب رفضه للخلافة، فقال عليه السلام: «إن كانت هذه الخلافة لك والله جعلها لك، فلا يجوز لك أن تخلع لباسا ألبسكه الله وتجعله لغيرك، وإن كانت الخلافة ليست لك فلا يجوز لك أن تجعل لي ما ليس لك»[1]. لقد تحدث الإمام الخميني قدس سره حول هذه الرواية وحول دوافع المأمون في حين عرض الخلافة في الحكم على الإمام عليه السلام.

ومن الواضح أن المأمون يقول في هذا الحوار للإمام عليه السلام أنه يجب عليه أن يقبل ولاية العهد. وبالتالي فقد اضطر الإمام عليه السلام إلى قبول ولاية العهد بشروط فرضها هو عليه السلام. وقد خطب الإمام عليه السلام في مراسم هذه البيعة الإجبارية، وفي حضور العوام وغيرهم، فقال:

---

(١) بحار الأنوار، ج٤٩، ص١٢٩.

«لنا عليكم حق برسول الله ولكم علينا به حق فإذا أنتم أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم»[١].

كان المأمون ينتظر أن يمدحه الإمام الرضا عليه السلام، ولكن ذلك العظيم لم يشر أدنى إشارة إلى المأمون، بل عرّف نفسه كصاحب الحق.

ولم يقتصر الأمر على هذا الخطاب، فقد عبّر الإمام عليه السلام عن هذا الأمر بوضوح في مناسبة أخرى[٢]، كما عبّر عن النطاق الواسع لمجال عمل الإمام عليه السلام[٣]، أما للإنتقائيين، الذين يتساءلون لماذا قبل الإمام الرضا عليه السلام الحكم، وهل هذا يتناسب مع الزهد؟ فيقول عليه السلام إنه لا تنافي بين الرئاسة والزهد والتقوى، وأنه يعتبر حكومة المأمون غير شرعية، ولكنه قبل ولاية العهد مكرها[٤].

«يا هذا أيهما أفضل النبي أم الوصي؟ قال: لا بل النبي. قال عليه السلام: فأيهما أفضل مسلم أم مشرك؟ قال: لا، بل مسلم. قال عليه السلام: فإن العزيز عزيز مصر كان مشركا، وكان يوسف نبيا. وإن المأمون مسلم، وأنا وصي، ويوسف سأل العزيز أن يولّيه حين قال: ﴿ٱجۡعَلۡنِي عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلۡأَرۡضِۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٞ﴾ وأنا أجبرت على ذلك»[٥].

إضافة إلى ما ذكرناه، هناك الكثير من الإشارات في حياة

---

(١) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٤٦.
(٢) المصدر السابق، ص١٢٩.
(٣) علل الشرائع، ج ١، ص٩٥.
(٤) بحار الأنوار، ج ٤٩، ص ١٣٠.
(٥) المصدر السابق، ص ١٣٦.

المعصومين عليهم السلام، أنهم كانوا يسعون للوصول إلى الحكم، وكانوا يعتبرون أولئك الأغيار أنهم غاصبين لحقهم في الحكم، وكانوا يطلبون من الشيعة أن لا يكونوا إلى جانبهم أو يتعاونوا معهم[١]، وكانوا يشجعون على تشكيل دولة ضمن دولة، كي لا تتعطل مصالحهم[٢]، ومقبولة عمر بن حنظلة تدل بشكل واضح على هذا الأمر.

لقد تطرق الإمام الخميني في كتابه (الحكومة الإسلامية) إلى سيرة الأئمة المعصومين عليهم السلام، وأجاب عن كثير من الشبهات التي طرحناها، حيث يقول في قسم من كلماته المجيدة:

«لقد كان الأئمة عليهم السلام، وأتباعهم أي الشيعة، في حالة دائمة من المواجهة مع الحكومات الجائرة وقوى الباطل السياسية. وهذا ما يمكن استفادته بوضوح من سيرتهم وأسلوب حياتهم، كما أن حكام الجور كانوا دائما يخافون من الأئمة عليهم السلام، وكانوا يعلمون أنهم إذا أعطوا الفرصة للأئمة عليهم السلام، فسوف يثورون عليهم، ويحرمونهم من الحياة الرغيدة. فما ترونه من سجن هارون الرشيد للإمام موسى بن جعفر عليه السلام لسنوات مديدة، أو من نقل المأمون للإمام الرضا عليه السلام إلى (مرو) ووضعه تحت المراقبة، وفي النهاية دس السم له عليه السلام، ليس بسبب كونهم سادة من أولاد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، لكي يكون ذلك بسبب عداوتهم مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن هؤلاء كانوا يعلمون أن عليا عليه السلام وأولاده يدّعون الخلافة، ويصرون على إقامة الحكومة الإسلامية، وأنهم يعتبرون الحكم

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٣٨.

(٢) المصدر السابق، ص ١٢٣.

والخلافة مسؤوليتهم، كما حصل عندما طُلب من الإمام عليه السلام تعيين حدود فدك لكي يعيدوها إليه، حيث تقول الرواية أنه أعطاهم حدود الدول الإسلاميّة، وهذا يعني أنه عليه السلام عيّن الحدود التي من حقه أن يحكمها، وأنهم هم الغاصبون»[١].

ويوجه الإمام الخميني قدس سره الخطاب فيما يأتي من كلامه إلى الفقهاء المطلعين العارفين بآلام الناس، فيقول: يجب أن تنهضوا وتنهوا حكومة الظلم، وتقيموا الحكومة الإسلامية.

إن العلماء ورثة الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام، وإن منزلة ورسالة الحوزويين وعلماء الدين اليقظين والواعين هي نفس منزلة ورسالة الأنبياء الإلهيين.

يجب على علماء الدين أن يكونوا حاضرين في مختلف ميادين المجتمع، وذلك أداءً لوظيفتهم الإلهية، وتطبيقا لتعاليم الإسلام، وسبيلهم إلى ذلك هو السعي لتشكيل الحكومة الإسلامية، فقد كانت محاربة الظلم ومخاصمة القوى المتحكمة والمتسلطة، وقيادة الناس سياسيا أعمالا على لائحة برامج الأنبياء، ومن ضمنهم نبي الإسلام الكريم صلى الله عليه وآله وسلم ؛ لذلك نجد أن الروايات استخدمت أوصاف (أمين)[٢]، و(خليفة)[٣]، و(وارث)[٤] الأنبياء.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ١٣٨ ـ ١٣٩.
(٢) أصول الكافي، ج١، ص ٤٦.
(٣) وسائل الشيعة، ج١٨، ص ٦٥.
(٤) أصول الكافي، ج١، ص٣٢.

عندما يشرح الإمام الخميني قدس سره هذه الروايات يصل إلى نتيجة تقول بأن وظيفة ونطاق عمل الأنبياء والعلماء واحد، وكنموذج على ذلك نذكر شيئا ممّا ذكره في كتابه (الحكومة الإسلامية):

«الفقهاء أمناء الرسل، وهذا يعني أن الفقهاء العدول موظفون ومأمورون بأداء كل ما كان في عهدة الرسل، فإجراء أحكام الإسلام بما يثبت دعائم مقررات الإسلام، وتكريس الحدود والقصاص، وحماية حدود وطن المسلمين ووحدة أراضيه، هي وظائف تقع على عاتق الفقهاء العدول فقط. وباختصار، فإن تطبيق كل القوانين ذات الصلة بالحكومة هي على عهدة الفقهاء. لقد كان الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله مأمورا بتطبيق الأحكام، وتثبيت مقررات الإسلام، وقد جعله الله حاكما ورئيسا على المسلمين، وأوجب طاعته، والفقهاء العدول كذلك يجب أن يكونوا رؤساء وحكام يطبقون الأحكام الشرعية، ويرسّخون النظام الإجتماعي الإسلامي»[١]. ومن خلال هذه النظرة يظهر أن العلاقة الكائنة بين الحوزة والسياسة هي علاقة ناشئة من روح الدين وأصل الشريعة، ومن يقول أو يكتب غير هذا، أو يعتبر أن حركات ونهضات علماء الشيعة خاضعة لظروف إجتماعية وسياسية قهرية، هم ضالون، مخطئون[٢].

فمشاركة الحوزة في العمل السياسي إذن من محكمات فكر الإمام الخميني قدس سره، وقد صرّح الإمام بهذا الأمر مرات عديدة قبل الثورة الإسلامية في كتاباته المتنوعة، وبعد الثورة في مناسبات مختلفة.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٦٠ ـ ٦١.

(٢) مجلة (كيان)، العدد ١٠، ص ١٧.

وقد ترقى الإمام إلى ما هو أكثر من ذلك، حيث حكم أنه من غير الجائز أن يقف علماء الدين ساكتين، غير مبالين، أو معتزلين للعمل السياسي والإجتماعي، لا سيما مع ما يمثله هؤلاء العلماء في هذا الدين الحق، وما يتحملونه من واجبات تجاه هذا المجتمع[١]. وقد أكد عليهم أن يحضروا في الساحات الإجتماعية المختلفة، وأن يشجعوا الناس على هذا الأمر[٢].

وقد ذهب الإمام إلى ما وراء الإعتقاد بأن التعرف على المسائل السياسية والتدخل في السياسة من واجبات علماء الدين، وأنه واقع ضمن نطاق فعاليتهم، فاعتبر أن الفقيه لن يكون مجتهدا جامعا للشرائط إذا لم يكن عالما بالسياسة والسياسيين، والأنظمة الحاكمة في الزمن المعاصر، وإن حكم بأعلميته في محافل العلوم الدينية [٣].

ويعتبر الإمام الخميني قدس سره أن ضرورة أداء دور فعال، والحضور في ساحات العمل السياسي بالمعنى العام، لا تقتصر على الحوزة وعلماء الدين الواعين، بل هو أمر مطلوب من كل الشعب المسلم، رجالا ونساء، حيث يحبذ قدس سره أن يطالعوا المسائل السياسية بدقة، ويريد منهم أن

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٣٣؛ «إمام وروحانيت» (الإمام والعلماء) مجموعه ديدگاههاى امام درباره روحانيت (مجموعة من رؤى الإمام الخميني حول علماء الإسلام): ٥٠، ١٠٢، ٧٦، المكتب السياسي لحرس الثورة الإسلامية.

(٢) ولايت فقيه،(الحكومة الإسلامية)،ص١٠٣،١٠٤؛امام وروحانيت:٧٤، ١٠٦.

(٣) صحيفه نور، ج ٢١، ص ٤٧.

يعبروا عن ردة فعلهم تجاه الأحداث الداخلية والخارجية التي تحدث مجرياتها داخل جسد الأمة الإسلامية، ومع المستضعفين في العالم[١]، لكنه قدس سره كما كان، على اعتقاده بأن الحوزات وعلماء الدين الواعين واليقظين يتحملون عبء تحقيق هدف متميّز، ويقع على عاتقهم مسؤولية خاصة، فهم ورثة الأنبياء ونواب الأئمة عليهم السلام.

أضف إلى ذلك أنه على قدر الوعي تكون المسؤولية، فإن من يكون لديه خبرة أكبر في مجال الأحداث الإجتماعية، وخدع وأهداف الأعداء، ويمتلك المعلومات حول طرق الحل، وأساليب المواجهة، ستكون بالطبع مساعيه ذات نتائج أفضل، ويُنتظر منهم الحضور في مختلف الميادين. والإمام الخميني قدس سره يعتبر أن العلماء المتفانين المسؤولين يتحلّون بهذه المزايا؛ لأنهم يعرفون مؤامرات العدو وأهدافه بشكل أوضح، إضافة إلى أن اهتمام الناس وعلاقتهم به ومحبتهم لهم تزيد من قوة تأثيرهم عدة أضعاف، لهذا تلزم التعاليم الدينية العلماء بمسؤوليات إجتماعية ضخمة.

ومن جملة ما استند إليه الإمام الخميني قدس سره في رأيه هذا، ما نقل عن أمير المؤمنين عليه السلام:

«فرو لا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر و ما أخذ الله على العلماء أن لا يقاروا على كظة ظالم و لا سغب مظلوم، لألقيت حبلها على غاربها»[٢].

---

(١) صحيفه نور، ج ٩، ص ١٣٦.

(٢) نهج البلاغة، الخطبة ٣.

ويقول الإمام الخميني قدس سره تبعا للإمام علي عليه السلام:

«إن علماء الإسلام مكلفون بمحاربة المستأثرين بالسلطة والظالمين، أصحاب المصالح غير المشروعة، وأن لا يسمحوا بأن يعيش عدد كبير من الناس جائعين محرومين، في حين أن الظالمين والناهبين من أكلة المال الحرام يعيشون إلى جانبهم منعّمين مدلّلين»[١].

فالإمام يرى أنه يجب على كل إنسان مسلم أن يشعر بالمسؤولية والإلتزام تجاه المجتمع الإسلامي وأمور المسلمين[٢]، بل مستضعفي العالم[٣].

وتختلف هذه المسؤولية سعة وضيقا بحسب خصوصية الشخص، ونطاق عمله.

أحد أهم أهداف علماء الدين: تشكيل الحكومة الإسلامية

إن أنماط حضور علماء الدين والفقهاء في ساحات العمل السياسي والإجتماعي كثيرة، قسمٌ منها سببه كونهم أعضاءً في المجتمع الإسلامي، وجزءٌ آخر سببه مسؤولية هداية المجتمع وقيادته، التي أوكلها إليهم الأئمة المعصومون عليهم السلام، وفي هذا السياق فإن إقامة الحكومة الإسلامية هو من أهم الأهداف والواجبات الملقاة على عاتقهم كونها تمثّل المقدمة لتطبيق تعاليم الإسلام.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٢٨.
(٢) أصول الكافي، ج ٢، ص ١٦٣.
(٣) المصدر السابق، ١٦٤.

وقد بيّن الإمام الخميني قدس سره الأسس العقلية والنقلية التي قامت عليها هذه المقولة، وذلك في آثاره المتنوعة، قبل الثورة الإسلامية، وكذلك في بياناته وخطاباته:

«إن إسقاط الطاغوت، أي القوى السياسية الظالمة في أنحاء العالم الإسلامي، هو واجبنا جميعا. إن أنظمة الدول الجائرة المعادية للشعب يجب أن تسلّم الأمور لمؤسسات الخدمة العامة، وأن تخضع لإدارة موافقة للقانون الإسلامي، وتتدرج لتصبح حكومة إسلامية مستقرة»[١]. لقد دعا الإمام الخميني العلماء لكي يلتحموا في مواجهة شاملة مع الظالمين تأسيّا بسيرة الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام[٢]. وهذا واجب أهم من سائر الواجبات جميعا؛ لأن الحكومة الإسلامية تؤمن المناخ الذي يمكن فيه أداء الكثير من الواجبات الأخرى، وبلوغ الأهداف التي يسعى إليها العلماء[٣]، فتطبيق التعاليم الإسلامية، وحماية ونشر الإسلام، والدفاع عن حقوق الناس، ومساعدة المظلومين والمحرومين والمستضعفين، ومحاربة الكفر والإستكبار كل هذه نماذج على ما يمكن أن يتيسّر الوصول إليه عبر الإستفادة من دعم الحكومة الإسلامية.

لم يكن تفكير الإمام الخميني قدس سره محصورا ضمن نطاق جغرافيّ معيّن، بل إن كلامه يشمل جميع المسلمين في كل أنحاء العالم.

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٣٨.
(٢) المصدر السابق.
(٣) المصدر السابق، ص ٩٥، ١٤١.

يجب أن يصبح هدم قصر الظلم، وتأسيس الحكومة الإسلامية هدفا لجميع المسلمين في العالم، أينما كانوا، ومهما كانت ثقافتهم ونهجهم: «إن وظيفة علماء الإسلام والمسلمين جميعا هي أن ينهوا حالة الظلم هذه، وأن ينهوا حكوماتها، ويشكلوا الحكومة الإسلامية، فإن هذا الطريق يحمل في طياته سعادة الملايين من البشر»[١]. وقد أعطى الإمام قدس سره توجيهات مهمة للعلماء الواعين المدركين لما يريده هذا الدين، وذلك في أيام الشاه، من أجل إقامة الحكومة الإسلامية:

١ـ أن يعرّفوا الناس الإسلام الحق كما هو، خصوصا الأصول السياسية والإجتماعية وأسلوبه في الحكم[٢]، وأن يجيبوا على الشبهات بشكل دقيق وعلمي وواضح،وأن يقضوا على الآثار السيئة والمهلكة للأجواء والدعايات التي يهيؤها أعداء الدين، وأن يقضوا على الإستعمار ويقطعوا أياديه عن الأذهان والأفكار مستخدمين المنطق، وأن يفهموا الآخرين أن الأمر ليس كما توحي دعايات العدو السقيمة، بل إن الإسلام دين الحكومة ودين بسط العدل:

«يجب على المسلمين، وبالأخص العلماء وطلاب العلوم الدينية أن ينهضوا لمواجهة دعايات أعداء الإسلام بكل وسيلة ممكنة، وأن يبيّنوا أن الإسلام دين الحكومة، وأن القوانين الحاملة لشعار نشر العدالة إنما هي من أجل إقامة الحكومة الإلهية»[٣].

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ٢٩.
(٢) المصدر السابق، ١١٦ ـ ١١٨، ١١٩، ١٤١.
(٣) كتاب البيع، افمام الحميني، ج٢، ص٤٩٠، إسماعيليان.

٢ـ إن إعطاء نموذج يحتذى به من الحكومة الإسلامية لسكان الدنيا، وبالأخص المفكّرين، هو أحد الأمور التي تهيء الأرضية لإنشاء الحكومة الإسلامية[١].

٣ـ يجب أن يضع علماء الدين اليأس والإنزواء والكآبة والسكوت واللامبالاة جانبا، وأن يواجهوا الظلم والظالمين، وتُعدّ مبارزة الحاكمين الظالمين اليوم، من أهم مصاديق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[٢].

٤ـ يجب أن يقطع علماء الدين علاقتهم بمؤسسات الدولة، وأن يمتنعوا عن كل عمل يعتبر دعما لهم[٣].

٥ـ أن ينشئوا مؤسسات قضائية، ومالية، وإقتصادية، وثقافية، وسياسية جديدة[٤].

وفي الحقيقة، ما يريده الإمام الخميني قدس سره من العلماء هو أن يصنعوا دولة ضمن الدولة، طالما لم تتح لهم الظروف إقامة الحكومة الإسلامية.

ومن بين الأصول المذكورة، أكد الإمام بشكل أكبر على أصل محاربة

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١١٨ ـ ١١٩.

(٢) «در جستجوى راه از كلام امام» (التفتيش عن الطريق في كلام الإمام)، دفتر هشتم، «روحانيت» (العلماء) ٢٦٠ ـ ٣٢٤؛ وخاصة ٢٦٥، ٢٧٨، و٢٨٢.

(٣) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٣٨.

(٤) المصدر السابق.

الظلم، وتحدث عنه في كثير من الموارد[١]، وأشار إلى فلسفة هذا الأمر، وفي الحقيقة فإن المنع الصادر عن الأئمة عليهم السلام بالنسبة للتعاون مع الحكومات الظالمة ومماشاتها، هو عبارة عن مشروع الإسلام لإبادة الحكومات غير الإسلامية، ومن ثم تشكيل الحكومة الإسلامية:

هناك أكثر من خمسين رواية في وسائل الشيعة، ومستدرك الوسائل، وغيرهما من الكتب، تأمر بالإبتعاد عن السلاطين وأنظمة حكم الظالمين، وأن يحثوا التراب في فم مادحيها، وأن كل من يمد يد العون إليهم أو يملأ لهم دواتهم بالحبر، سينال ما يناله من العذاب؛ ومن جهة أخرى فقد جاءت الروايات تمدح العالم وتذكر فضيلته، وكذلك الفقيه وامتيازه عن سائر الناس، فهذه أمور تصنع مع بعضها مشروعا يهدف إلى تشكيل الحكومة الإسلامية، لكي تُعرض الناس عن أجهزة حكم الظالمين، ولكي يُهدم بيت الظلم، ويُفتح باب بيت الفقهاء أمام الناس، أولئك الفقهاء العدول الورعين، والذين يجاهدون من أجل تطبيق الأحكام وإقرار نظام إجتماعي إسلامي[٢]. وهنا ينبغي الإشارة إلى أن هناك البعض ممن يظن أن الإمام الخميني طرح نظرية الحكومة الإسلامية، و ولاية الفقيه، وضرورة إقامة الحكم الإسلامي في النجف الأشرف، وأنه لم يتكلم قبل ذلك حول هذا الموضوع، في حين أنه دعا الناس وبالخصوص العلماء إلى مواجهة حكومة الشاه الظالمة،

---

(١) المكاسب المحرمة، ج٢، ص ٣٩، ١٣٧؛ ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٤١.

(٢) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٤٠ و١٤١.

وتشكيل حكومة مبنية على أصول الإسلام، وذلك قبل خمسة وعشرين سنة في كتابه (كشف الأسرار). وقد رفض الإمام في الكتاب المذكور جميع أشكال الحكم غير الديني، مستدلا على ذلك بالعقل والنقل، وقام بعدها بإثبات حقانية الحكومة الإسلامية[1].

الدفاع الواعي عن فكرة الحكومة الإسلامية:

لم يكن الإمام الخميني المصمم والمنفذ الوحيد للحكومة الإسلامية والولائية في هذا القرن فحسب، بل كان أيضاً الرجل الذي وجه ضربة قاضية علمية ودقيقة لمخالفي فكرة الحكومة الإسلامية، هذه الفكرة الرفيعة المتعالية.

لقد عاقب الإمام الخميني الجميع عندما فضح وجه المخالفين، وشخّص جذورهم الفكرية، وأظهر المستنقعات التي يستمدّون منها أفكارهم المعادية للإسلام:

«إن المستعمرون هم من قال أن الدين يجب أن ينفصل عن السياسة، وأن علماء الدين يجب أن لا يتدخلوا في الأمور الإجتماعية والسياسية، وهم من أشاعوا هذه الأفكار، وهؤلاء لا دين لهم. فهل كانت السياسة منفصلة عن الدين في زمن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؟ أم هل كان في ذلك الزمن البعض ممن هم علماء دين وآخرون ممّن هم سياسيون وبيدهم زمام الأمور؟ إن من أشاع هذه الكلمات هم المستعمرون وسياسيّيهم، يريدون بذلك أن يمنعوا الدين من التصرف في أمور الدنيا، وأن ينظم المجتمع الإسلامي، وأن يفصلوا العلماء عن الشعب وعن معاركه التي

(١) كشف الاسرار، الإمام الخميني، ص١٨٥ ـ ١٨٨.

يخوضها في طريق الحرية والإستقلال، لكي يتمكنوا بهذا أن يتسلطوا على الشعب، وأن ينهبوا ثرواتنا»[١]. وقد أشار الإمام في كلماته إلى المنشأ الإستعماري لهذا الفكر ـ أي أن لا يكون لعلماء الدين فعالية في السياسة ـ وكشف الدافع الذي أدى إلى طرح هؤلاء المنظّرون لهكذا أفكار وترويجهم لها. عندما رأى المستعمرون وأدواتهم أن الإسلام الحق، وأن العلماء الملتزمون الواعون يقطعون عليهم الطريق، حاولوا بكل ما أوتوا من قوة أن يحجّموا الإسلام، وأن يحيّدوا العلماء عن طريقهم.

وقد حاولوا الوصول إلى هدفهم عبر غسل دماغ الناس بواسطة تكرار الدعايات ونشرها على نطاق واسع: من أن المكان الصحيح للدين والعلماء هو المساجد، وأن العلماء يجب أن يقوموا بأعمالهم هناك، وأن لا يتطرّؤا إلى المسائل السياسية والإجتماعية.

وقد كانوا يريدون من وراء نشر هكذا أفكار أن يمسخوا تعاليم الإسلام الثورية، كالجهاد ومحاربة الظالمين، والإستقلال وطلب الحرية. وقد أرادوا أيضا أن يخرجوا الإسلام الحقيقي من المعترك الإجتماعي، وأن يمتنع المسلمون وبالأخص العلماء والقادة الدينيون عن التدخل في السياسة، فيصبحوا لا مبالين بهذه المسائل في عين ادعائهم للإسلام.

وقد فهم الإمام الخميني المؤامرة الشياطنية لأعداء الإسلام على النحو التالي: «لقد أرادوا من خلال دعاياتهم وتلقيناتهم أن يحجّموا

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ص ١٦.

ويصغّروا الإسلام، وأن يحصروا دور الفقهاء وعلماء الإسلام بأعمال جزئية، فنفثوا في آذاننا أنه ليس للعلماء عمل سوى الكلام، ولا شيء آخر، ولم يفهم البعض ما يجري فضلً، فهم لم يعلموا أن هذه خطة تهدف إلى سلبنا استقلالنا، والسيطرة على الدول الإسلامية من جميع الجهات، فانخرط هؤلاء في سلك أجهزة الدعاية الإستعمارية دون أن يعلموا، وساعدوهم على تطبيق سياساتهم وتحقيق أهدافهم»[١].

وقد سرت هذه الخدعة إلى الحوزات والمحافل الإسلامية وعملت عملها، وقد وقف بسببها بعض رجال الدين في وجه الأفكار الجديدة، والسياسيين الدينيّين، والمؤمنين بالكفاح السياسي، و هؤلاء هم من ملأ قلب الإمام الخميني قيحا، حيث كان يقول: «لقد ساهمت هذه الأفكار البلهاء المرتكزة في ذهن البعض في مساعدة الدول الإستعمارية على إبقاء وضع الدول الإسلامية كما هو، والحيلولة دون قيام نهضة إسلامية. وهذه أفكار مجموعة من المعروفين بـ (المقدسين)، وهم في الحقيقة المتظاهرين بالقداسة، لا المقدسين، فيجب أن نصلح أفكارهم، وأن نعيّن تكليفنا معهم، لأن هؤلاء هم موانع أمام الإصلاحات والنهضة التي نريد تحقيقها، ويكبّلون أيدينا»[٢]. وبعد الثورة الإسلامية، كتب الإمام الخميني قدس سره بيانا أوضح فيه أمام المراجع والعلماء الكبار ورجال الدين في البلد، معبرا بحرقة عن الألم الموجع للروح الذي حل بقلب الحوزات والمسلمين:

---

(١) ولايت فقيه، (الحكومة الإسلامية)، ١٣٠.

(٢) المصدر السابق، ١٣٣.

«في بداية المواجهات الإسلامية، قام عدة أشخاص من المتخلفين المتظاهرين بالقداسة بتحريم كل شيء، ولم يكن هناك من يقدر على الوقوف بوجههم. لم تعانوا من أي شيء كما عانيتم من هذه الحفنة المتحجرة. عندما أخذ شعار فصل الدين عن السياسة مأخذه، وعندما صارت الفقاهة في منطق المغفلين هي عبارة عن الإستغراق في الأحكام الفردية والعبادية، فمن المسلّم عندها أن الفقيه لن يكون مسموحا له الخروج عن هذه الدائرة، وأن يشارك في العمل السياسي والحكومة»[1]. ولم يُغلق ملف هؤلاء حتى الآن للأسف. ولهذا كان الإمام الخميني حتى أواخر أيام حياته يطلب من رجال الدين المتفانين أن لا تسري هذه الأفكار من عند المتحجرين إلى الطلاب الشباب. وكان الإمام يرى أنه من الضروري تعريف الطلاب الشباب على أعمالهم. وقد أشار الإمام الخميني إلى نكتة دقيقة وظريفة في الجواب على هذه المجموعة:

«ماذا كان سيفعل هؤلاء المدّعون للقداسة لو كانوا على زمن الرسول صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام؟ هل كانوا سيخطئونهم أيضا في مشاركتهم عليهم السلام في العمل السياسي والإجتماعي؟ لا يمكن استبعاد شيء عن هؤلاء؛ ألم يخطّئ خوارج النهروان علي عليه السلام؟

لقد تلقى الإستعمار ضربة قاسية في جسده بانتصار الثورة الإسلامية. لقد انهارت هيبة الإستكبار، وجلس الإسلام على كرسي القدرة، واسترجع جلاله وعظمته الأوَّلين.

---

(١) صحيفه نور، ج ٢١، ص ٩١.

لقد اختلط الدين بالسياسة، وحضر العلماء ورجال الدين بقوة في ساحات العمل السياسي والإجتماعي. وفي هذه الأثناء حاول الإستعمار أكثر من ذي قبل أن يستجمع قواه ويبذل ما في وسعه من أجل إخراج الدين من معترك الحياة، وصولا إلى عزل علماء الدين الفاعلين، وتنظيم أياديهم الناشطة داخل الدولة، لكي يصيغوا الشعارات القديمة في قوالب جديدة.

وقد قام البعض من المفلسين سياسيّا، الذين كانوا حتى يوم أمس يتشدقون في كلامهم بالحكومة الدينية، ومشاركة الدين في الأمور السياسية، فما لبثوا أن وحدّوا أصواتهم مع أولئك، ورفعوا شعار فصل الدين عن السياسة بأحد ذريعتين: إما قدسية الدين والعلماء، أو بذريعة عدم امتلاك علماء الدين للتخصص والتجربة الكافيين في المسائل السياسية والحكوميّة، وبالتالي فمن الأفضل أن لا يخوضوا في مجال السياسة! هذا هو الإنتكاس والرجوع إلى الماضي، الماضي الذي كان يلقى إعجاب المستعمرين والحكام الظالمين ولا يزال. والحقيقة أن هؤلاء الأشخاص يقدمون المساعدة للعدو شاؤوا أم أبوا.

ارتباط الدين بالسياسة في سيرة المسلمين:

لقد كان علماء الشيعة والسنة وكل المسلمين ،منذ صدر الإسلام وحتى اليوم، يعتقدون أن الإسلام دين كامل وجامع، وأن تعاليمه شاملة لجميع شؤون وزوايا حياة الإنسان، حتى أن علي عبد الرزاق، وهو من المفكرين السنة المعاصرين، ويعتقد بفصل الدين عن السياسة، وهو من سعى بكل ما أوتي من عزم ليثبت أن حكومة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كانت

علمانية، تراه قد قبل أن رأي كل المسلمين والعلماء هو أن حكومة الرسول ﷺ لم تكن شيئا سوى رسالته ﷺ[١].

وبعد وفاة الرسول ﷺ لم يكن فهم وعمل المسلمين في السياسة والحكومة غير ما كان عليه الرسول ﷺ. فقد كان يعتبر المسلمون والعلماء والحكام أن الحكومة من الله، وكانوا يعتبرون أن وظيفتهم هي السعي لتطبيق التعاليم الدينية، وتشكيل حكومة إسلامية. ومن ثم بعد رحيل النبي ﷺ لم يعارض أحد تشكيل الحكومة، بل انصب خلافهم عن من سيخلف النبي ﷺ. ولكن الحكام الأمويين والعباسيين ومن تلاهم ممن كانوا يستلمون زمام الأمور، كانوا يحكمون الناس بعنوان حكام دينيين، وكانوا يعرّفون أنفسهم للآخرين بأنهم ممثلين للدين والرسول ﷺ[٢].

أما تاريخ الحوزات والحركات الإسلامية، في زمن الحضور والغيبة، فيشير إلى أن العلماء والمفكرين الإسلاميين كانوا يتدخلون في السياسة، عدا عن شرح الدين وتبليغه، وعدد العلماء الذين استشهدوا في سبيل إرساء حاكمية الإسلام وتثبيت دعائمها ليس بقليل[٣]. ولكن علي عبد الرزاق يخدش في حقيقة بهذه النصاعة، ويعتبر أن هذه الحركات أدلة على كون الدين منفصلا عن السياسة، فيقول أن مقام الخلافة الإسلامية شهد مخالفة دائمة من المعارضين والثوار منذ

(١) الإسلام وأصول الحكم، علي عبد الرازق ١٤٥، ١٤٩.
(٢) المصدر السابق، ج ١، ص ١٩٨.
(٣) المصدر السابق، ج٢١، ص ٨٩.

زمن الخليفة الأول (أبو بكر) إلى اليوم، وأن تاريخ الإسلام لم يذكر لنا خليفةً كان الكل إلى جانبه، ولم تقم ضده أي ثورة[١].

ولكن التاريخ يثبت لنا أنه لم يكن هدف قادة الحركات الإسلامية معارضة أصل مفهوم الحكومة، بل كان أكثرهم يدعو إلى إلى التنسيق بين الدين والدولة.

لقد كان السبب وراء تحركهم هو ابتعاد الحاكم عن كتاب الله وسنة النبي صلى الله عليه وآله، وانجراره وراء حب السلطة.

وعلى سبيل المثال: فالهدف من تحرك الإمام الحسين عليه السلام ضد يزيد، وثورة زيد بن علي، وحركة شهداء فخ، وغيرها من الثورات الكبرى، كان إسقاط حكومة الظلم وإقامة حكومة التي يريدونها والتي تكون على أساس المعايير والموازين الإسلامية.

هذا ما يمكن فهمه من أصل الدعوة، وطريقة البيعة، وما أمضاه أئمة الشيعة[٢].

وهناك مجموعة من العلماء من زمن الحضور الذين كانوا يأخذون إجازة الإمام المعصوم عليه السلام، وينخرطون في سلك الدولة بعد أن يقبلوا وظيفة أو مركزا رفيعا يعرض عليهم من قبل الحكام، وكانوا يمارسون التقية ويستفيدون من السلطة التي حصلوا عليها للعمل من أجل الإسلام والمسلمين وتطبيق بعض الأحكام الإجتماعية والسياسيّة.

---

(١) الإسلام و أصول الحكم، ص ٦٨.

(٢) الكامل في التاريخ، إبن أثير، ج٤، ص ٤٧٨، دار صادر، بيروت؛ تاريخ الأمم والملوك، جرير الطبري، ج٥، ص ٤٩٧.

عبد الله بن سنان من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام[١]، والنجاشي[٢] من المعاصرين للإمام الصادق عليه السلام، علي بن يقطين[٣] من أصحاب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام، هؤلاء كانوا أصحاب مراكز في حكومات عصرهم[٤]، وكانوا يقدمون المساعدات والخدمات المهمة للشيعة والمجتمع الإسلامي من خلال وظائفهم هذه.

وقد حصل هذا الأمر مع الكثير من علماء الغيبة كذلك، كالسيد أبو أحمد والد السيد المرتضى والسيد الرضي، وإبناه العظيمان كذلك، حيث كانت لهما منزلة رفيعة في الدولة العباسية، فقد كانوا نقباء السادة، ومشرفون على القضاء، وكانت لهم رئاسة الحجاج كذلك، وغيرها من الأعمال الإجتماعية والسياسية[٥].

كما كان لعلماء الشيعة تعاون مع الحكام الفاطميين في مصر، ودولة بني عمار في طرابلس، فكتاب (دعائم الإسلام) الذي كتبه القاضي نعمان كان عبارة عن الميثاق السياسي والثقافي في الدولة

---

(١) إختيار معرفة الرجال، الشيخ الطوسي، تحقيق مصطفوي ص ٤١٢، العدد ٧٧١، دانشگاه مشهد (جامعة مشهد).

(٢) بحار الأنوار، ج٤٧، ص ٣٧٠.

(٣) الكافي، ج٥، ص ١١٠.

(٤) مجلة (حوزه)، العدد ٧٥ المقالة: موضع واقع بينانه مقدس أردبيلى در برابر شاهان صفوى (الموقف الناظر إلى الواقع للمقدس الأردبيلي في مقابل الملوك الصفويين).

(٥) الدرجات الرفيعة فى طبقات الشيعة، السيد علي خان ص ٤٥٨ و ٥٦٠، مؤسسة الوفاء، بيروت.

الفاطمية. وكان هناك القاضي إبن البراج، وهو من تلامذة مدرسة السيد المرتضى، وقد تسلم الإشراف على قضاء طرابلس مدة عشرين عاما[١].

أما الشهيد الأول فكان على تواصل مع المحاربين الشيعة في الشام وفارس وخراسان والري.

وهناك علي بن مؤيد، الذي كان أحد قادة الثورة في خراسان، وقد خاطر بطلب العون من الشهيد الأول للحصول على جواب المسائل الفقهية والسياسية، وقد كتب الشهيد الأول اللمعة الدمشقية استجابة لطلبه، وأرسلها إليه بواسطة (آوي)[٢].

فمن ذلك اليوم وحتى العصر الحاضر كان علماء الشيعة يبذلون الجهود الكبيرة من أجل تطبيق الأحكام الإلهية، وإجراء الأحكام السياسية والإجتماعية.

ويقول الإمام الخميني قدس سره بعد أن يشير إلى أن فصل الدين عن السياسة كان من أجل تهميش الدين ورجاله:

«إن علماءنا على مر التاريخ لم يعتزلوا العمل السياسي، فالمشروطة كانت عملا سياسيا، وقد شارك كبار علمائنا فيها، وفي تأسيسها. وكذلك مسألة تحريم التنباك، فقد كانت مسألة سياسية،

---

(١) المهذب، عبد العزيز بن برّاج الطرابلسي، ج١، ص ٣٤، انتشارات اسلامى، وابسته به جامعه مدرسين (مرتبطة بجامعة المدرسين)، قم.

(٢) اللمعة الدمشقية، الشهيد الأول، شرح كلانتر، ج١، ص ١٣٣، دار العلم الاسلامي.

والميرزا الشيرازي كان مشاركا بهذا المعنى. وفي التاريخ القريب أيضا هناك (مدرس) و(كاشاني)، فهؤلاء كانوا سياسيين وفاعلين»[١].

أما في العهد الصفوي والقاجاري، فقد كان لعلماء كبار حضور قوي في ساحة العمل السياسي.

وهؤلاء العلماء على الرغم من أنهم قبلوا في الظاهر ولاية الحكم الصفوي، لكنهم طبق المباني الفقهية، كانوا يعتبرون أنفسهم قائمين بأعمال الإمام الحجة عجل الله تعالى فرجه الشريف.

وقد تعرّضنا للتحليل الفقهي لهذه المقولة فيما مضى، وبيّنّا رأي الإمام الراحل قدس سره فيها[٢].

---

(١) صحيفه نور، ج ٢٠، ص ٣١.
(٢) مجلة حوزه، الأعداد ٨٩ ـ ٩٠، ص ٢١٦.

رسالة مفتوحة

إلى أمير عباس هويدا (خيانات الشاه والحكومة)

الزمان: ٢٦/ ١/ ١٣٤٦هـ.ش ـ المصادف ٤ محرم ١٣٨٧هـ.ق[1]

المكان: مدينة النجف

الموضوع: الكشف عن مفاسد وخيانات الشاه وحكومة هويدا

المخاطب: هويدا، أمير عباس (رئيس الوزراء)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»

السيد هويدا، أرى من الواجب أن أقدم لكم بعض النصائح، وأذكركم ببعض الأمور المهمة، وأنتم في خيار من قبولها أو رفضها.

طيلة هذه الفترة الطويلة التي أقضيها بعيداً عن الوطن بجريمة معارضتي لقانون حصانة الأمريكيين الذي هدَّ أساس استقلال البلاد، ولازلت أقضي عقوبة النفي المخالفة للقانون والشرع والدستور، أعاني

---

(١) صحيفة النور، ج١، ص١٣٢، وكذلك كتاب نهضة الإمام الخميني، ج٢، ص٢١٧، ذكرت في تاريخ ٢٧ فروردين ١٣٤٦، والصحيح هو ٢٦ فروردين حسب التاريخ المذكور في الرسالة.

فيها مرارة الألم الذي يعتصر قلبي لما أشاهده من مصائب تمر على هذا الشعب الأصيل من قبل أجهزة النظام الظالمة.

ومما يبعث على الأسف الشديد، أن دعواتكم الفارغة للإصلاح، لم تتجاوز حد الحملات الدعائية في الإذاعة والصحف الأجيرة لكم، وبعض المقالات المليئة بالخداع والكذب والمبالغة، فلازلنا نشاهد كل يوم تزايد فقر هذا الشعب وفاقته، وإفلاس التجار والأسواق في البلاد.

ولم ينتج عن كل هذه الضوضاء والحملات الدعائية المخادعة، سوى تقوية تسلط الأجانب على السوق السوداء وإبقاء الشعب في حالة من الفقر والتخلف تحت عنوان الشعب المتحضر.

وإن حكومتكم وحكومة أسلافكم البوليسية غير الشرعية، إنما تسلطت على الشعب بدعم أولئك الذين يريدون إبقاء شعوب الشرق في حالة من التخلف، فكانت حكومة القرون الوسطى، حكومة قائمة بقوة السلاح والتعذيب والسجن، حكومة كبت ومصادرة للحريات، حكومة ظالمة وديكتاتورية. فعمدت باسم الحركة الدستورية إلى تأسيس أسوأ أشكال الحكومات المستبدة الديكتاتورية ووجهت باسم الإسلام أقسى الضربات المؤلمة إلى القرآن الكريم والأحكام الإلهية، وتجاوزت باسم تعاليم الإسلام المتعالية أحكام الإسلام واحداً بعد الآخر، ولو سنحت لكم الفرصة ـ لا سمح الله ـ ستتجاوزون عليها مرة أخرى، وبدعواكم المخادعة نحو الرقي والتعالي، أبقيتم البلاد في حالة من التخلف.

فهذه حقائق مؤلمة، ينبغي أن يطلع عليها العالم، وأنا أشير هنا إلى بعضها حتى يشعر بالمسؤولية كل من غفل أو تغافل عنها، ولا

ينخدع بمراءاتكم وتصرفاتكم المخادعة. إحدى هذه الحقائق الاحتفالات غير الوطنية التي تقيمونها عدة مرات في كل سنة لتأمين مصالحكم الشخصية، والتي لم تجلب للبلاد في كل مرة سوى المصائب المؤلمة على الإسلام والمسلمين وعلى الشعب الإيراني المستضعف.

فالشرطة تعمد بقوة السلاح إلى جباية الأموال الطائلة من هذا الشعب المستضعف، لتغطية تكاليف هذه الاحتفالات، حيث بلغت تكاليف إحداها ـ والتي أترفع عن ذكر اسمها ـ ما يقارب الأربعة آلاف مليون ريال، جُمع نصفها من خزينة الشعب ونصفها الآخر تم جبايته بالقوة والتهديد من التجار والكسبة، ولم ينتج عنها سوى العبث والشهوة والتلاعب بمشاعر الشعب.

فدفعتم من دماء الفقراء تكاليف لذاتكم وشهواتكم، وما لم يعي الشعب لوظيفته وحقوقه سيظل كل يوم يمر على هذا الوضع بمثابة عيد وسعادة لكم، وحزن ومأساة للشعب.

وقد رافقت هذه الاحتفالات انتهاكات خطيرة لأعراض المسلمين ولمبادئ الإسلام، يترفع القلم عن ذكرها.

وما زلتم تسكنون في قصور مجللة تستبدلونها باستمرار بين فترة وأخرى وتنفقون عليها مبالغ طائلة لا يمكن أن يتصورها الشعب، تجمعونها من جيوب المواطنين المستضعفين، وتنظرون من خلالها إلى فقر الشعب وفاقته، وكساد الأسواق وإفلاسها، وبطالة الشباب الخريجين، وتشهدون اضطراب الوضع الزراعي؛ وكساد الأسواق، وتسلط

إسرائيل على شؤون البلاد الاقتصادية، بل تذكر التقارير تدخل إسرائيل حتى في شؤون البلاد الثقافية؛ وتشهدون فقدان أبسط الخدمات عن القرى المحيطة بالمركز من قبيل الماء الصالح للشرب، والحمام، والوسائل الصحية، فكيف بحال القرى النائية، وتشهدون ترويج الفساد الأخلاقي، وسلب الأمانة والدين في أعماق هذه القرى؛ وتشهدون تأسيس صندوق باسم التعاون وجباية الأموال وسرقتها من قبل الشرطة من الإقطاعيين المخدوعين النادمين؛ وأخيراً تشهدون السجن والتهديد بالنفي غير القانوني؛ في حين تنعمون أنتم في ملذاتكم وشهواتكم وتصرفاتكم المخجلة، لتقرأوا الفاتحة على مقبرة اسمها إيران.

فكيف يقبل ضميركم أن تتملقوا إلى هذه الدرجة للأجانب من أجل حكومة سرعان ما تزول، وتسلمونهم ثروات الشعب مجاناً أو بمقدار زهيد، لتلحقوا الظلم والاستبداد برعيتكم، أعني هذا الشعب المظلوم؟ وكيف تقبلوا أن تبينوا للعالم حكومتكم والدولة الإسلامية بمظهر التخلف والرجعية؟ فنقض الدستور دليل على التخلف، وكذلك الاستفتاء غير القانوني والمزيف هو دليل على التخلف.

ومصادرة حرية الشعب في انتخاب ممثليهم، وتعيين أفراد معروفي الاتجاه تبعاً لأوامر الآخرين وبدون تدخل الشعب، هو دليل على الضعف والتخلف أيضاً.

فأنتم تعلمون أن الشعب إذا ما تمكن من استعادة حقه في تعيين مصيره، لما بقيتم على هذه الحال ولأزاحكم عن مواقعكم إلى الأبد.

وإذا ما منحتم الكتاب والصحفيين عشرة أيام من حرية التعبير، لفضحوا جرائمكم أمام الملأ؛ لكنكم لا تمتلكون الجرأة على منح هذه الحرية (والخائن خائف)؛ وبالتالي فإن مصادرة حرية الصحافة واللجوء إلى ما يسمى بجهاز الأمن، هو دليل على التخلف، كما أن إقامة الاحتفالات المتكررة لمناسبات لا تجد لها اسماً في الدول الأخرى، وصرف المبالغ الطائلة التي تقصم ظهر الشعب، تعد دليلاً آخر على هذا التخلف.

كذلك الاستسلام لحكومة إسرائيل الواهية، وتعريض اقتصاد البلاد للخطر، هو دليل على الضعف والتبعية، ودليل على خيانة الإسلام والمسلمين.

ومنح الحصانة للأجانب دليل واضح على التخلف والذل والاستسلام بلا قيد أو شرط. وبإقراركم هذا القانون، هل تدركون مدى الخيانة العظيمة التي ارتكبتموها ضد البلاد والإسلام، وما هي شدة الضربة التي وجهتموها لاستقلال البلاد؟ وبالطبع يكون المعارض لهذا القانون خائناً، ويستحق النفي؟

السيد هويدا، إن الكلام المؤسف الذي طبع مؤخراً وللأسف، كان يتضمن بعض الاعترافات التي تهد أساس الاستقلال في البلاد، وإني أترفع الآن عن ذكرها.

فلماذا لا تحولوا دون طبع أو نشر مثل هذه الكتب؟ هل تتعمدون التلاعب بكرامة هذه البلاد وعزتها، أم أنكم بهذه العقول المريضة عاجزون عن إدراك هذه الأمور؟ وهل ارتكب علماء الإسلام ذنباً سوى

النصيحة، وهم الساعون دائماً للمحافظة على استقلال البلاد الإسلامية ووحدتها؟ وهل ارتكبت الحوزات العلمية ذنباً غير خدمة الإسلام والمسلمين والدول الإسلامية؟

إن الأجانب يرون فيها سداً يمنع تدخلهم في شؤون البلاد، فعقدوا العزم على هدمها وزوالها، فيما تنفذون أنتم أحكام الآخرين وتتبعون سلطة الدولار والثروة. وماذا يمكن أن تطلقوا على ضرب الحوزات العلمية، والهجوم المسلح على المدرسة الفيضية وصحن الحرم الطاهر في قم، والقتل الجماعي في ١٥ خرداد، سوى التبعية العمياء لأصحاب الدولار وخدمتهم؟ وماذا يمكن أن تنتج الضغوط التي تمارسونها ضد مراجع المسلمين والعلماء الأعلام وطلاب الحوزات العلمية واقتحام الجامعات، سوى خدمة الأجانب؟ فهم لا يرغبون بحكومة القرآن الكريم وأحكامه على الشعوب الإسلامية، حتى يتمكنوا من السيطرة على ثرواتهم دون أن يعترض عليهم أحد، بل ويمنحونهم الحصانة بدلاً عن ذلك، فهم لا يرغبون أن نكون شعباً حراً، ولا يرغبون أن يكون الناطقون باسمنا أحراراً؛ وللأسف أنتم تنفذون أوامرهم حرفياً دون أي اعتراض أو نقاش، إن الحوزات العلمية كانت ولازالت تمثل مدافعاً حقيقياً عن العلم والأخلاق والصدق؛ وليس للخداع أو الدعاية، ولو كنتم تحبون العلم، فلماذا تقتحمون بوحشية المراكز العلمية؟ ولماذا هذا القتل الجماعي وإراقة الدماء في المدرسة الفيضية والجامعة؟ ولماذا لا تتركون طلاب العلوم الدينية وشأنهم ولو ليوم واحد؟ ولماذا تعاملون الجامعيين في الداخل والخارج بهذا الشكل؟

السيد هويدا، أرى من واجبي نصيحتكم، فأنتم جزء من هذا الشعب، ولدتم وترعرعتم في هذه البلاد، وحصلتم على المناصب والمراكز المهمة.

أنصحكم أن لا تتلاعبوا إلى هذه الدرجة بكرامة الشعب وعزته، وبدلاً عن هذا الخداع والتضليل، اخدموا هذا الشعب المستضعف، أو على الأقل لا تزيدوا من آلامه بذرائع مختلفة. وتوقفوا عن جباية الأموال من هؤلاء الكسبة المستضعفين، وتوقفوا عن ممارسة الضغوط ضد علماء الشعب والطلاب والجامعيين، إرضاءاً لشهوات الآخرين ورغباتهم؛ وتوقفوا عن التعاون مع إسرائيل عدو الإسلام والمسلمين، التي شردت أكثر من مليون مسلم مظلوم، ولا جرحوا عواطف المسلمين، ولا تفسحوا المجال أكثر من ذلك لإسرائيل وعملائها الخونة للنفوذ في أسواق المسلمين، ولا تعرضوا اقتصاد البلاد للخطر من أجل إسرائيل وعملائها؛ ولا تخاطروا بثقافتنا من أجل شهواتهم وملذاتهم، اتقوا الله، ولا ترسلوا الفتيات المخدوعات إلى الجيش، ولا تخونوا أعراض المسلمين.

وهذه الحقيقة المؤلمة التي أنكرتموها سابقاً وحكمتم علي بالنفي بسببها، هل ما زلتم تنكرونها بعد أن عملتم بها الآن؟ وهل تنكرون الفضائح المخجلة التي قمتم بها في احتفالاتكم بمناسبة الذكرى الخامسة والعشرين؟ اتقوا غضب الله، واخشوا غضب الشعب، ولا تتلاعبوا بأحكام الله تعالى بذريعة الدين المترقي، ولا تسيئوا باسم القرآن إلى أحكامه القطعية المسلّم بها، ولا تمارسوا هذا السلوك

الوحشي مع الحوزات العلمية بذريعة الخدمة الإلزامية الواهية وعديمة الفائدة، وتوقفوا عن الإساءة لمن خدموا الثقافة والشعب.

وأخيراً لا تجعلوا علماء الأمة يضطرون للتصرف معكم بشكل آخر.

كانت هذه ثلة من الفجائع التي ارتكبتموها ضد الدين والشعوب، وهناك الكثير منها أيضاً؛ أقولها لعلكم تنتبهون لأخطائكم وتعودون لضمائركم، ولعل مراجع الإسلام والعلماء الأعلام والخطباء المحترمين يشعرون بمسؤولياتهم، ولعل الشباب والمثقفين وطبقات الشعب المختلفة الواعية يشعرون بمسؤولياتهم، ولعل المجتمعات الإنسانية ومدعي حقوق الإنسان يشعرون بمسؤولياتهم، ولعل مجلس الأمن وغيره من المنظمات الدولية يتوقفوا عن دعم مصالح القوى العظمى وإضاعة حقوق الشعوب المستضعفة أكثر من ذلك، ولعل السلطة الحاكمة والنظام الديكتاتوري يعود لضميره قبل فوات الأوان.

إن ربك لبالمرصاد[١]، والله من ورائهم محيط[٢]، والسلام على من اتبع الهدى.

٤ محرم الحرام ١٣٨٧

روح الله الموسوي الخميني

---

(١) سورة الفجر، الآية: ١٤.

(٢) سورة البروج، الآية: ٢٠.

وللذكريات كلمة

في شهر آبان عام (١٣٣٩هـ.ش) قام الخطيب سيد مرتضى برقعي بزيارة الشاه وقدم له التهاني باسم الحوزة العلمية بمناسبة ولادة ابنه، مما جعل وسائل إعلام النظام تحكي هذا الحدث بشكل واسع جداً.

غضب الإمام مما فعله هذا الخطيب وطلب حضوره على الفور وأبلغه اعتراضه الشديد على ذلك، وحذره من أي ارتباط مع النظام الملكي، لأنّ نتيجة ذلك تلويث نفسه بالتبعية للطواغيت. وذكره بأحد الوعاظ المشهورين في طهران حيث أصبح مبغوضاً من قبل العلماء وأفراد المجتمع بسبب مثل هذا الارتباط، وبمجرد أن قام هذا الواعظ بالابتعاد عن الظلمة كيف أصبح محبوباً لدى الجماهير.

معتقل يرفض اللقاء بملك الملوك

في أحد لقاءات الإمام بالسيد روغني ـ حيث كان الإمام يخضع للإقامة الجبرية في بيته بطهران ـ أبلغه أن النظام يريد منه ـ من الإمام ـ أن يلتقي الشاه وأن ذلك قد يساعد في تبديد الغيوم السوداء بين الطرفين ويؤدي ذلك لتحقيق ما يطلبه العلماء، فأجابه الإمام:

«... إن ميلهم لأن ألتلقي بالشاه ليس هدفه إصلاح الأمور وحل المشاكل بل لأنهم يعرفون أن الشاه قد سقط في أعين الناس إلى درجة أنهم يعتقدون بنجاسة البحر لو مسه إصبع الشاه. لذا يحاولون إقناعي بلقائه حتى أسقط كما سقط هو...».

(نهضت إمام خميني ج١، ص٨١٦)

أبناؤك ينتظرونك

عندما كان الإمام في باريس عينني الشهيد الحاج مهدي عراقي مسؤولة عن أمن الرسائل التي تصل إلى منزل الإمام حتى لا يدس أحدٌ ما يؤذي الإمام في تلك الرسائل.

وفي أحد الأيام وبينما أنا أقوم بهذا العمل وإذا بالإمام يقول لي أنا لست راضياً بما تفعلينه.

فقلت له: أقسم بالله أنني لا أقرأ الرسائل بل للتأكد من عدم احتواءها ما يشكل خطراً عليكم. فقال ﷺ «أنا أعلم ذلك، ولكن إذا وجد خطر فلماذا يصيبك ولا يصيبني؟».

فقلت: سيدنا إن هناك شعب ينتظركم. فقال لي: وإن هناك أبناؤك ينتظرونك. فقلت له: إن لدي خبرة في هذا المجال وليس علي خطر في ذلك فقال: إذاً علميني ما تعلمتيه.

(السيدة مرضية دباغ)

الاستفادة من الوقت

كان الإمام لا يدع فرصة ولو قليلة من الوقت إلاّ استغلها فيما يفيد، فحتى الأذكار التي يمكن أن يأتي بها متى ما يشأ كان يؤخرها إلى الوقت الذي خصصه له الأطباء من أجل الحركة.

ولو نظرتم إلى الأشعار والغزليات والرسائل العرفانية فستجدون أن بعضها قد صدرت منه في السنوات الأخيرة. فهذه الأمور يصعب على الشخص المعافى أن يقوم بها.

بينما هي تصدر ممن اقترب من التسعين عاماً مع كل المشاغل التي يقوم بها، وتعرضه عدة مرات لنوبات قلبية بعضها كانت شديدة، وخضوعه لفحوصات طبية بشكل مستمر، ومنعه من العديد من الأغذية، واحتياجه في اليوم والليلة أكثر من خمسة عشر نوعاً من الأدوية، مع ذلك نجده حتى في المستشفى وقبل إجراء العملية الجراحية بساعات يستفيد من الوقت في قراءة القرآن وأداء النوافل ومطالعة الصحف والاستماع إلى الأخبار فلم يكن مستعداً لإضاعة جزء ولو بسيط من عمره فيما لا فائدة فيه.

(حجة الإسلام والمسلمين السيد رسولي محلاتي)

النفس المطمئنة

في بداية شن صدام هجومه على الجمهورية الإسلامية مجهزاً بأحدث الأسلحة والأدوات من الشرق والغرب كان يصلنا في مكتب الإمام كل لحظة خبراً مؤسفاً عن تقدم القوات الصدامية، وجميع تلك الأخبار كانت بطبيعتها تخلق اليأس في القلوب. في أحد الأيام وقرب موعد صلاة الظهر رن الهاتف فتناولت سماعة الهاتف وإذا بالمتصل هو المهندس غرضي محافظ خوزستان، وكان يتكلم وهو مصاب بالاضطراب الشديد وهو يقول أوصلوا هذا الخبر إلى الإمام فوراً وأبلغونا بالجواب! لقد سقطت خرمشهر وآبادان[1] تحت خطر السقوط ما هو تكليفنا!؟

---

(١) مدينتان حدوديتان ــ حدود إيران والعراق ــ في محافظة خوزستان جنوب غرب إيران.

أصابني الهلع وركضت نحو غرفة الإمام من دون عباءة ولا نظارة فوجدته على سجادة الصلاة، قد بدأ في تلاوة فصول الإقامة لصلاة الظهر، وعندما شاهدني قال ما الذي حدث؟ أخبرته بكلام المهندس غرضي، فلم أرى منه أي تغير، وكأن ما حدث أمر عادي جداً.

وقال لي: أبلغه «إنها حرب، إنها حرب يا سيد» ثُمّ واصل تلاوة فصول الإقامة.

السيد رسولي محلاتي

فهرس

الإمام الخميني شخصية لا نظير لها..... ٣

الإمام الثوري وهو في التسعين قبل ٧٤ يوما على رحيله ماذا يقول؟..... ٤١

مع تلميذ الإمام سماحة آية الله الشيخ محمد فاضل اللنكراني..... ٤٩

وثيقة نموذج من ردات الفعل على اعتقال الإمام..... ٥٩

جولة في موسوعة الإمام الخميني من خلال وثائق السافاك.....٦١

الإمام، قائد النهضة.....٧٣

شكوى من العلماء:.....٨٢

ابتلاءات الإمام:.....٨٤

ذلة التبعية للأجانب:.....٨٨

سرية المقصد التالي للإمام:.....٨٩

اللقاءات الصحفية القوية والمتحضرة:.....٩٠

مواقف مختلفة:.....٩٥

جهاد بأسلوب فكاهي:.....٩٦

شجاعة الوسطاء:.....٩٦

مكانة مرجعية الإمام:.....٩٧

الدفاع عن الشباب:.....٩٧

جهود أنصار الإمام وازدياد نفوذ الإمام:.....٩٨

فشل مؤامرات الأعداء:.....٩٩

علاقة الإمام مع الشعب:.....١٠١

الوعي وشمول الرؤية:.....١٠٥

الرسالة السياسية للحوزات في فكر الإمام الخميني قدس سره ١٠٩

مفهوم السياسة.....١١١
ارتباط الدين بالسياسة.....١١٤
نظرية فصل الدين عن السياسة:.....١١٥
البنية الطبيعية للدين:.....١١٧
سيرة الأنبياء والأئمة المعصومين عليهم السلام.....١٢٨
الإجابة على أحد العقائد:.....١٣٥
الإمام علي عليه السلام والحكومة.....١٣٧
صلح الإمام الحسن عليه السلام.....١٣٩
الإمام الصادق عليه السلام ورفض عرض أبي مسلم الخراساني:.....١٤٣
الإمام الرضا عليه السلام وإعراضه عن ولاية العهد:.....١٤٤
أحد أهم أهداف علماء الدين: تشكيل الحكومة الإسلامية.....١٥٢
الدفاع الواعي عن فكرة الحكومة الإسلامية:.....١٥٧
ارتباط الدين بالسياسة في سيرة المسلمين:.....١٦١
رسالة مفتوحة إلى أمير عباس هويدا (خيانات الشاه والحكومة).....١٦٧
وللذكريات كلمة.....١٧٧